

لا تهتموا بشيء

إسحق إسكندر

طبعة ثانية

سلسلة ١٧

ملء الجباب

العدد السابع عشر

يناير ٢٠٠٨

لا تهتموا بشئ

طبعة ثانية

إسحق إسكندر

سلسلة ملء الجباب

صدر منها:

١- ملء الجباب
٢- تكفيك نعمتي
لماذا أنا بالذات؟
٣- كرسي المسيح
٤- حبيب الرب
٥- أرى الدم
ثلاثة أبكار
أربع معارك
٦- على الشجوية
ظل الموت
٧- روشتة للألم
٨- كاهن عظيم
٩- السجين الحالم
١٠- ميمي بك
١١- مجاهد في الجبانة
١٢- رئيس الخلاص
١٣- وأنت تبقى
١٤- لنا شفيع
١٥- محطة الأتوبيس
حجرة الفئران
١٦- رائد وسلطان

- Upon shiggaion
- The shadow of death
- The brass serpent

إيداع رقم ٢٠٠٧/٢٥٥٥٧ بدار الكتب

ترقيم دولى ٩٧٧-١٧-٥٣٠٣-٧ .I.S.B.N

الفهـــــرس

مقدمة واعتذار

يتناول هذا العدد موضوع الصلاة وماهيتها – وهي بخلاف السجود , الذي لم نتطرق إليه – ومتى تُستجاب (الصلاة) .. وكيفية الاستجابة .. إن إيجاباً , أو سلباً .. ووقت الاستجابة .. وسلام الله ﴿ وهو بخلاف السلام مع الله (رو ٥: ١) .. وبخلاف سلام الرب يسوع الشخصي (يو ١٤: ٢٧) ﴾ .. ودور سلام الله معي .. ثم الحال عندما أكون عاجزاً عن الصلاة .. إلخ.

مع ملاحظة أننا لم نعمل مسحاً شاملاً لهذا الموضوع المتسع ، يغطي كافة جوانبه الكتابية .. بل تناولنا – كالعادة في هذه السلسلة – الجانب المرتبط بالعجز الإنساني .. وبساطة الإمكانيات .. وضعف القدرة .. وقلة الحيلة ، مع كثرة الحيرة .. وما يستشعره المؤمن في نفسه إزاء هذا كله من فراغ يضرب في حشاه .. فتجتهد هذه السلسلة – كمعنى اسمها ؛ ملء الجباب ؛ أي ملء الفراغات – أن تقدم نزراً مما أعده الرب من عدة ، لمواجهة هذا الفراغ ، وملئه بكمال كفايته .

وربما كان هناك قارئ – أو أكثر – من الذين يفترضون في أنفسهم – دون غيرهم – امتلاكهم لمواهب القوة التي تنقل الجبال .. والقدرة التي تحطم الصخور .. والمشيئة الصالحة التي تغير مشيئة الله , التي هي بالتبعية – في قناعتهم – أقل صلاحاً !

لمثل هؤلاء أقدم اعتذاري , إن جاء هذا العدد مغايراً لهذه الأفكار .. بل متناولا ضعف الإنسان وعجزه – مؤمنا كان أم غير مؤمن – والذي مهما

حاولت فلن استطيع إخفاءه (الضعف) في كتاباتي .. بل هو يظهر في كل سطر من سطورها .. لا لشيء , إلا لأنه اختباري الشخصي .. الذي أعيشة كل يومٍ .. عاجزاً في ذاتي .. خالي الوفاض من موهبة خارقة تميزني .. أو قدرة فائقة تتملكني .. أو إعجاز باهر يرفعني .. لكن ملقيا نفسي بالتمام على النعمة الغنية (أف١: ٧ , ٢: ٧) المخصصة – فقط – لمختبري الضعف (٢كو١٢: ١٠) .. والمعترفين به .. أو بالحري المفتخرين فيه (٢كو١٢: ١٠) .. وهي الكافية لابتلاع ضعفهم .. وتغطية عجزهم.

غير أني أنظر إلى حضراتهم بعين من الاحترام .. نظرا لثقتي في صدقهم مع أنفسهم .. راجيا ألا ينظروا هم إليَّ بأي احتقار .. معتبرين أنهم مصنوعون من **الصخر غير القابل للكسر** – كما ينادون – بينما أنا مصنوع من **التراب** (تك٢: ٧) ، **والخزف** (٢كو٤: ٧) .. **القابل للكسر** .. كما أُقر .. وأعترف .. بل **والواجب كسره** .. مثل جرار جدعون الخزفية التي كان يجب أن تُكسر, حتى يشع النور (قض٧: ١٩) .. ومثل الإناء الخزفي الذي كانت تُطبخ فيه ذبيحة الخطية .. والذي كان يجب أيضاً أن يُكسر (لا٦: ٢٨), حتى لا يرتفع المؤمن المرموز إليه بهذا الإناء , إن هو تعامل مع المقدسات .

وإلا فما معني موت الجسد .. وهو عودة التراب إلى التراب (تك٣: ١٩) ؟ .. أليس هو الدليل على أني مصنوع من التراب .. لا من الصخر؟

إذ هل يتحول الصخر المدفون إلى تراب , مهما دفن قرونا .. كتماثيل الفراعنة .. أو دهورا كطبقات الجرانيت في باطن الأرض ؟ .. أليس لأنه صخر لا تراب , دام صخراً طيلة هذه الأزمنة ؟

من منطلق ضعفي هذا أصلي .

وأكون بهذا مثل الأرملة في الأصحاح الثامن عشر من إنجيل لوقا .. والتي كانت ضعيفة **ضعفا مثلوثا** .. فهي **أولاً** : إمراة ؛ " الإناء الأضعف "

(١بط٣: ٧) .. **وثانياً:** أرملة , بلا رجل يبسط جناحه عليها .. **وثالثاً:** مشكلتها مع خصمها كانت أمام " قاض ظالم " (لـو١٨: ٢) .. ومـن موقـع **الـضعف المثلوث** هذا كانت تطالبه (لو١٨: ٣).

وهذا هو واقع الحال الذي عليه الكنيسة؛ عـروس المـسيح ؛ " **إمـرأة الخروف** " (رؤ٢١: ٩) .. فهي بمثابة امرأة **أولا** .. وفي غيابه , **ثانياً** .. ووسط عالم "موضوع في الشرير" (١يو٥: ١٩) , **ثالثاً** .. واقع حال الكنيسة كجماعـة .. وحال المؤمنين كأفراد.. حال الضعف المثلوث.

لذلك إن صليت , تم إدراج إسمي **تلقائيا** في قائمة المساكين .. لأن :

" **هَذَا الْمِسْـكِينُ صَرَخَ وَالرَّبُّ اسْـتَمَعَهُ** "

(مز٣٤: ٦)

فإن استجيبت صلاتي بعد هذا .. ولو بحدوث المعجزة ؛ كشفاء مريض ميئوس من شفائه مثلا .. تمت المعجزة من موقع **المسـكنة المـضاعفة** .. لا من موقع **القوة الفائقة**.

فإن ادَّعيت , بعد ذلك , بامتلاكي لموهبة للشفاء , أو غيرها من **القوات المعجزية** (جمع قـوة) .. لا بكوني **مسـكينا** يصلي , فتُستجاب صلاته .. بتُّ متناقضاً مع نفسي.

لهذا لم يكن الرسل يصلون قبل عمل القوات المعجزيـة .. لتعـارض **القـوة** مع **المسـكنة** المرتبطة بالصلاة , والدامغة للمصليِّ .

يستثنى من هذا , صلاة بطرس الرسول قبل إقامة طابيثا بعدما ماتـت (أع ٩: ٤٠) .. وكان ذلك لسبب أن الرب لم يدرج إقامة الموتى ضمن الآيـات المعجزية الخمس التي منحها للمؤمنين في إنجيل مرقس , والأصحاح الأخير ..

فكان يلزم بطرس استئذان الرب بخصوصها .. وهي الصلاة الوحيدة له , قبل عمل أية معجزة .

استثناء ثانٍ ؛ وهو للرسول بولس قبل شفائه أبي مقدّم جزيرة مليطة .. حيث صلي قبل وضع يديه عليه ليشفيه .. لماذا ؟ .. لأنه قبل هذه الآية مباشرة, قال أهل الجزيرة عن بولس أنه إله , لما لدغته الأفعى المتوحشة ولم يمت , أو يتأثر .. فإنقاد الرسول بالروح لكي يصلي أمام الجميع آخذاً مركز **المسكنة والضعف** أمام – **والتوسل** إلى – من هو الإله الحقيقي .. حتى ينفي ما ظنه فيه أهل الجزيرة .. وهي أيضاً الصلاة الوحيدة له قبل إجراء أية معجزة.

وفيما عدا هاتين المرتين لم يصل أحد من الرسل أو التلاميذ قبل إجراء آيات عظيمة (أع٦:٨) .. وكثيرة (أع٥:١٢) .. والتي كانت تتم دون صلاة .. بل بكلمة آمرة من الرسول (بطرس أع ٣: ١–١٠) .. أو بظلٍ منه (بطرس أع ٥: ١٥).. أو منديل له يوضع على المريض فيبرأ (بولس أع ١٩ : ١٢).

إما إن كان الرب قد صلي عند قبر لعازر .. فلم يكن ذلك توسلا من مسكين يصلي حتى يستجيب الله لمسكنته .. فيقيم لعازر.

بل كانت صلاته : " لأَجْلِ هَذَا **الْجَمْعِ** الْوَاقِفِ قُلْتُ **لِيُؤْمِنُوا** أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي" (يو ١١: ٤٢).

كانت صلاة لتليين **قلب الجمع** الواقف عند القبر **فيؤمنوا** .. ذلك لأن **قلب الإنسان أقسي** من أن تليّنه **قوة معجزية** , ولو كانت **إقامة ميت** .

وعن هذه القساوة ، يكتب " **قداسة البابا شنودة الثالث** " :

كم دعاني الرب يوماً فأشحت الوجه عنه
وأراني قلبه الحاني أنا الهارب منه
قال كن صدراً لقلبي غير أني لم أكنه
كان قلبي في صدود **مثل صخر كان أقسى**

فأصحاب القلوب القاسية , " إِنْ كَانُوا لاَ يَسْمَعُونَ مِنْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَلاَ إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ " (لو١٦: ٣١) .

إن الإنجيل وحده هو " قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ " (رو ١: ١٦) .. دون أية **قوات** معجزية .. أو عسكرية .

أما إقامة لعازر فكانت **بقوة كلمة الرب : " لِعَازَرُ هَلُمَّ خَارِجاً "** (يو١١: ٤٣) – لا بمسكنة صلاته – " **فَخَرَجَ الْمَيْتُ** " (يو١١: ٤٤) ؛ أي لعازر من القبر.

إن الجينات الوراثية التي طالها الموت , وتحمله في ثناياها لجميع البشر , مبرمجة منذ خلقها على البصمة الصوتية التي لابن الله ؛ خالقها (يو١: ٣) .. حتى متى سمعت صوته – وهو مصدر الحياة (يو١: ٤) – يُنتزع الموت منها تلقائياً .. كما تُبرمج الخزائن الآن على البصمة الصوتية لصاحبها .. لتنفتح تلقائيا عند سماع صوته .. هكذا – مع الفارق طبعا – " تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ (صوت ابن الله) فَيَخْرُجُ أي يقوم ويخرج من القبور الَّذِينَ .... " إلخ .. (يو٥: ٢٨،٢٩) .

أما صلاة الرب كـ "مِسْكِينٍ إِذَا أَعْيَا وَسَكَبَ شَكْوَاهُ قُدَّامَ اللهِ " (مز١٠٢) .. فكانت بخصوص **الصليب وآلامه** .. لا بخصوص **عمل القوات** .. والعينة على هذه الصلاة كانت في بستان جثسيماني (مت٢٦: ٣٧-٤٤ , مر١٤: ٣٣-٣٩ , لو٢٢: ٤٠-٤٥) .

لا اعتراض لديَّ إن شفي أحد مريضاً .. أو حتى أقام ميتا .. **دون أن يصلي** .. وقال بعد ذلك بامتلاكه هذه القوات الخارقة , دون غيره.

أما إن **صلي** .. فقد اندرج تلقائياً ضمن قائمة **المساكين** .. والذين تُستجاب صلاتهم , باعتبارهم **مساكين** , لا باعتبارهم **أصحاب قوات** .. هذا إن اتفقت صلاتهم مع مشيئة الرب.

وحيث أن المساكين جميعهم مشتركون في **المسكنة** .. وهي **عكس امتلاك القوات** .. فقط صار أخونا – **إن صلي** – واحدا منهم .. مجرَّداً من أي شيء يميزه عن غيره من المؤمنين .. إلا حياة البر, **وهي ليست من القوات المعجزية** .. والتي إن وُجدت , أعطت ميزة إضافية لصلاته .. لأن " طِلْبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيراً فِي فِعْلِهَا " (يع ٥ : ١٦)... لاسيما إن كانت مصحوبة بالصوم.

فليقبل مخالفيَّ **اعتذاري** .. فلكلٍّ زعمه .. لهم **قوتهم** .. ولي **ضعفي** .. ولنا جميعا **غني الرحمة** (أف٢ : ٤).

لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ

بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ. وَسَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.

(في ٤: ٦،٧)

رد على خطاب لأحد الأحباء، بعد تبويبه وعنونته.

القــدرة والرغبــة

" لأَنَّهُ إِنْ كَانَ النَّشَاطُ مَوْجُوداً فَهُوَ مَقْبُولٌ عَلَى حَسَبِ مَا لِلإِنْسَانِ، لاَ عَلَى حَسَبِ مَا لَيْسَ لَهُ " (٢كو٨: ١٢)

الجيزة في ديسمبر ١٩٨٧

الأخ المحبوب في الرب....

النعمة معك.

سألتنى أيها العزيز سؤالاً.. وهو ماذا نعمل عندما **لا نكون قادرين** على الصلاة ؟ .... وأود أن أسألك بدورى ؟.. وماذا عندما نكون قادرين ؟ .. هل **قدرتنا** على الصلاة تغيّر من واقع الأمر شيئاً ؟

عجيب!! .. أليست للصلاة **فاعلية** ؟.. بلى .. إنها " **تَقْتَدِرُ كَثِيراً** فِي فِعْلِهَا " (يع ٥: ١٦).. أى لها فاعليتها الكبيرة.

لكن سؤالك هو عن **القدرة** على الصلاة (أى على التعبير)، لا عن **الاقتدار؛ أي فاعلية الصلاة** .. إن قدرتى على الصلاة لا تفرق كثيراً عن عدمها .. عجيب أيضاً!!.. فما هو دورى إذاً ؟

إنه ينحصر فى **رغبتى**.. لا فى **قدرتى**.. أو بمعنى أصح فى رفع القلب إلى الله .. قادراً كنت على التعبير .. أم غير قادر .. وسنأتى إلى هذه النقطة فى الختام.

أما **قدرتى** على الصلاة فليست إلا إضافة فقط إلى رصيدى من الإمكانيات.. أو فلنقل من التمتع بمخاطبة الله .. ومطارحته ما انشغل به فكرى.. ومشاركته فى ما انطوى عليه قلبى .. وعجزى عن الصلاة يحرمنى من هذا الامتياز.. لكنه لا يحرمنى من قلب مرفوع إلى الله .. ونفس منتظرة

إياه.. وفاعلية لهذا الانتظار.

ألا نصلى إذاً ، اكتفاء بالقلب المرفوع ؟ .. كلا.. ما دمنا قادرين , فمن قال هذا؟.. إننا نقرأ : " صَلُّوا **بِلاَ انْقِطَاعٍ** " (١تس ٥: ١٧) .. وأيضاً ".... **كُلَّ حِينٍ** " (لو١٨: ١)

أما إن كنا غير قادرين ، فهذا ما سوف نتطرق إليه بعد قليل.

ما فائدة الصلاة ؟ .. أو بالحرى ؛ ماذا عن الصلاة أساساً ؟

هذا يأتى بنا إلى ما كتبه الرسول بولس فى رسالته إلى أهل فيلبى, (ص ٤:٦- ٧).

لا تهتمــــوا بشئ

" لاَ تَهْتَمُّــوا بِــشَيْءٍ، بَــلْ فِــي كُــلِّ شَــيْءٍ بِالــصَّلاَةِ وَالــدُّعَاءِ " (فــى٤: ٦).

يُرى المؤمن فى هذه الرسالة - **رسالة فيلبى**- **سائحاً عابراً** البرية .. **ساعياً** نحو غرضه العظيم فى المجد .. **منتظراً** من السماوات غاية إيمانــه .. وهو **الرب يسوع** , الذى سيغير شكل جسد تواضع المؤمنين .. ليكــون علــى صورة جسد مجد الــرب (فــى ٣ : ٢١).. هــذا هــو الخــلاص النهــائى (فى ٢: ١٢).. أو الخلاص إلى التمام (عب ٧: ٢٤).

أما الملابسات التى سبقت كتابتها.. فباختصار؛ كانت ملحمــة مريــرة دامت أربع سنوات .. ابتداء باقتناص الشعب للرسول بولس (كاتبها) في الهيكل لافتراسه .. لولا تدخل " أمير الكتيبة " ، الذى أنقذه منهم ، ولكن مقيَّــداً إيــاه بسلاسل أحاطت بمعصميه هذه السنوات كلها.. وانتهاء بتحديد إقامته فى رومية .. مربوطاً إلى جندى (مناوب) ملازم له.. مروراً برحلة خطيرة مــضنية.. براً وبحراً .. عانى فيها ما عانى .. جسدياً .. ونفسياً .. ومثــولاً أمــام كافــة السلطات .. الدينية اليهودية .. والرسمية الرومانية .. للمحاكمة , والفحــص , والتمديد للجلد (أع ص٢١- ص٢٨) .

حتى الأفعى المتوحشة فى مليطة .. أى نعم.. حتى هذه , عزّ عليها ألا تشارك فى مهرجان الترحيب العالمى الممتد بهذا السائح المــسكين .. فانــشبت أنيابها فى يده.. حفاوة وإكراماً .. الكل ينهشونه ، فلم لا تضع أنيابها فى الخدمة (أع ٢٨ : ٣) ؟

ومع الفصل الأخير من هذه الملحمة .. وآلامه لم تعد بعــد ذكــرى .. فمازالت واقعاً مفروضاً .. وبصماتها على كيانه الرقيق لم تمسي بعــد خلفيــة

ماضية.. فما برحت حقيقة ملموسة .. امتد يراعه من بين السلاسل يخط لنا أن:

● " اِفْرَحُوا .... كُلَّ حِينٍ " (فى ٤:٤)

■ تقول هذا ناسياً آلامك .. أم مهوناً منها؟

● لا تهوين ولا نسيان .. بل بكامل إدراكى لحالى.. وكامل إحساسى بألمى.. " أَقُولُ أَيْضاً افْرَحُوا " (فى ٤ : ٤)

■ وهل أنت فَرِح ؟

● ألم أسبِّح من قبل مع سيلا.. بأرجل مقطورة .. وظهر مجلود .. وجراح دامية غير مغسولة .. وآلامٍ لمَّا تزل (وقتها) طاعنة (أع١٦: ٢٥).

■ وكيف كنت فرحاً؟

● فِي الرَّبِّ (فى٤:٤).

■ والبرية وما فيها؟

● إن كان فيها شئ واحد يدعو إلى الاهتمام .. فلا تهتموا به.

■ أى شئ؟

● وكل شئ.

■ وأين نذهب منه؟

● هو الذى يذهب عنا.

■ إلى أين؟

● " **أَلْقِ عَلَى الرَّبِّ هَمَّكَ**..(وقبل أن يصير همين).. **فَهُوَ يَعُولُكَ**" (مز٥٥: ٢٢) .. لا تهتم بشئ (واحد) .. بمعنى لا تفكر فيه.. ولا تنشغل به.. أو تحمل همه.. وتبعته.. وأسبابه.. ونتائجه .. " **بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ** " (فى٤ : ٦) .. " **مُلْقِينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ لأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ** " (١بط٥: ٧) .. إن " **الرَّبُّ يَهْتَمُّ بِي** "(مز٤٠ : ١٧) .. إنه كفيل **بالاهتمام**.. وكفيل **بالعناية**.

" فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ " .. إن كلمة الصلاة فى أحد معانيها؛ هى الصلة بين الإنسان والله , (بينما فى معان أخرى تفيد السؤال والطلبة) .. أما الدعاء فهو تقديم أدعية وطلبات محددة.

فإن تناولنا الصلاة ، فى مفهومها الأول، باعتبارها الصلة .. تمييزاً لها عن الدعاء, باعتباره الطلبات .. لرأيناها أشبه بالتيار فى الهاتف (حرارة التليفون) .. فعند رفع السماعة نجد التيار أو الخط .. وما على المتحدث، إن وجد " الحرارة " , إلا أن يقول ما يريد .. لهذا يمكن اعتبار الصلاة , بهذا المفهوم , هى التيار السارى بينى وبين الله.. أو الخط المباشر.. طلبت شيئاً ، أم لم أطلب .. أما الدعاء فهو الطلبات المحددة .. فالصلة إذاً قائمة، والخط عامل .. أو مفروض أن يكون كذلك .. تكلمت , أم لم أتكلم .. ركعت , أم لم أركع .. دعوت , أم لم أدْعُ.. أنا فى حالة صلة مستمرة .. سواء حددت ما أريد , أم لم أحدد .

هذه الصلة يصورها سيدنا له المجد فى قوله بالنبوة : " أَمَّا أَنَا فَصَلاَةٌ " (مز١٠٩: ٤).. أى أجسِّم الصلة الحقيقية ، فى صورتها الكاملة ، بين الإنسان وبين الله .. وبصفة مستمرة .. ومن يريد أن يقف على هذه الصلة فى أوج كمالها فسيجدها فىَّ.

والمفروض أن أكون أنا أيضاً فى صلة مستمرة مع الله .. فى المخدع والاجتماع .. فى البيت والشارع .. فى العمل والراحة .. فى كل وقت.. وكل مكان.. مطلوب أن أكون فى حالة صلاة ، وصلة ، وشركة.

ألا تنقطع " الحرارة " من هذا الهاتف.. وتفقد الصلة استمراريتها؟.. ممكن.. متى؟.. عندما أزِلُّ[1](مز١٨:٦٦) .. وهنا يبرز عمل الشفيع كما سبق ورأينا[2] .. الذي لا يقودني فقط إلى التوبة.. ولا يغفر لي فقط خطيتي.. بل

---

(١) رجاء الرجوع لملحق رقم ١.. وهلم جرا.

يردنى رداً كاملا إلى الشركة معه ومع الآب (١يو١: ٣).. إنه يظل يأخذ بيدى حتى تعود المياه إلى مجاريها.. والتيار إلى مساراته.. والشركة إلى وضعها الصحيح.

أما إن كان الرب أنموذجا فريداً ، ولا يمكننى مشاركته القول : " أَمَّا أَنَا فَصَلاَةٌ " .. لأن هذه تفيد الاستمرارية المطلقة .. فإنه يمكننى - كإيليا , وكان " إِنْسَاناً تَحْتَ الآلاَمِ مِثْلَنَا "(١ابط ٥: ١٧) - أن أقول " حَيٌّ هُوَ رَبُّ الْجُنُودِ الَّذِي أَنَا وَاقِفٌ أَمَامَهُ " (١مل١٨: ١٥) ..أى - على الأقل - فى هذا الوقت ، أنا أمامه.. ومعه على الخط .. ولا يبقى إلا رفع الدعاء .. وتقديم الطلبة .. الخط موجود في هذا الوقت .. إذاً فليستخدم الهاتف.

" فِي **كُلِّ شَيْءٍ** بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ ".. وكلمة " **كل شئ** " تشمل الكبيرة والصغيرة .. وليس كما أظن أحياناً أن الكبيرة على الرب والصغيرة علىَّ .. إن كلمة " **كل شئ** " تنصرف حتى إلى شراء منشفة (منديل) ورق!!.. لماذا؟.. هل فقط لكى يوفقنى الرب إلى شراء المنديل الجيد، أو الرخيص ؟ .. لو مضى التفكير هكذا فقط لكان تفكيراً وصولياً " ميكافيلياً " .. لكن لأنى معه على الخط والشركة قائمة ، فلماذا لا أحادثه فى هذا الأمر كغيره؟.. لماذا أُحرم من امتياز محادثته فى " **كُلِّ شَيْءٍ** " ، حتى ولو كان شراء منديل ورق .. مع أنني استطيع شراءه دون صلاة ؟

إذ ليس احتياجى فقط هو ما يجب أن يدفعنى إلى محادثته.. بل هى الصلة القائمة أساساً بينى وبينه.. طلبت , أم لم أطلب .. إنه وجود الخط المباشر بينى وبينه.. فلماذا أُحرم من امتياز استعماله فى **كل شئ** .. مُلِحاً كان, أم عابراً .. عسيراً كان , أم يسيراً ؟

وبعد شراء المنديل - وهو أنواع - فإن وفقنى إلى شراء نوع معطَّر أعود إليه شاكراً .. معتبراً أن توفيقى هو منه .. داخلاً معه على الخط.. ممارساً للصلة التي بينى وبينه .. ولو فى أمر بسيط كهذا.

أما إن جاء المنديل الورق - موضوع كلامنا - غير معطر .. فما هو موقفى عندئذ ؟ .. هل ضاعت صلاتى بهذا الخصوص .. أو خسرت جهادى فى الصلاة عموماً؟.. أم أن هناك سبباً خفياً وراء الوقوع فى غير المعطر؟ .. بصفة عامة , من قال أنها ستمضى معطرة ومفروشة بالورود على طول الخط؟.. ليكن السبب كيفما كان - فليس هذا موضوعنا الآن- لكن لأعلم - بداية - أن صلاتى لم - ولن - تَضِع سدى ..وجهادى لم - ولن- يَرُح عبثاً.. كيف؟ .. إن الله عن طريق الصلاة يجعلنى أتوافق مع منظوره إلى الظروف ، إن أتت غير معطرة.

أو بمعنى آخر .. مريض يصلى بلجاجة من أجل شفائه.. ويداوم على ذلك.. وتمر الأيام.. ويسمح الرب ببقائه مريضاً لحكمة لديه.. وبمداومة هذا المريض على الصلاة ، يقترب من الله أكثر.. ويدنو من فكره وحكمته.. ويقبل المرض بطريقة أو بأخرى.. **منحازاً أولاً** : إلى **فكر الله** من جهة استمرار هذا المرض.. **ومتمتعاً ثانياً** : **بالنعمة** التى تُجزل له ساعتها .. والتى تجعله يحتمل المرض بسرور.

لقد صلى الرسول بولس من أجل الشوكة ثلاث مرات.. فهل أعطاه الله ما أراد؟.. كلاًّ.. بل أدخله معه على الخط.. وجعله يشاركه فكره.. وكأنى به يجيبه قائلاً :

☨ يا بولس .. تعال وانظر.. ألا ترى معي أن بقاء الشوكة لازم لك ؟

● ما جُرمى؟

☨ ألا بدَّ من جُرمٍ حتى تُلطم بالشوكة ؟

● أتسمح بالأشواك بلا جريرةٍ ؟

☨ هذا فكر ناموسى.

● فإن لم تكن عقوبة أو تأديباً، فلماذا أُضرب ؟

☨ لئلا ترتفع بفرط الإعلانات (٢كو١٢: ٧) .

● وكيف أتحمل؟

✝ ليس هذا شأنك.. لقد تضرَّعتَ.. وهذا هو **كل دورك**.. وأنا سمعت.. فإن أشفِك , فمن فضلى .. وإلا , فإليك **النعمة** , أجزلها لك **بكفاية** تستوعب الشوكة.. أو بالحرى لكيانك الضعيف المضروب بها .. والمطحون تحت وطأتها.. فتجعله يتأقلم مع الشوكة .. عندئذ **يتوافق**, **أولاً : فكرك مع فكرى من جهة بقائها**.. فتبررنى فيما أفعل.. **وثانياً: يتكيف بعد ذلك باقى كيانك مع ألمها والتزاماتها**.. فتتحمل كا لو لم تكن هناك شوكة أصلاً.. **نعمة** لفكرك **فتبررني** .. **ونعمة** لباقى كيانك **فتتحمل** .. " **وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ** " (يو ١ : ١٦) .. نعمة تتغلغل فتصل إلى **كل فراغ** لتملأه .. وإلى **كل صدع** لترأبه.. وإلى كل **نقص** لتكمله.. وإلى كل **ضعف** لتعالجه.. ألا ترى معى أنها **نعمة كافية** ؟ .. فماذا تريد بعد.. أوَلاَ تكفيك ؟ .. كلا .. بل ؛ " **تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضُّعْفِ تُكْمَلُ** " (٢كو ١٢ : ٩).

ونسمعه – **استنتاجاً** – بعدما اختبر كفاية النعمة يقول: وأنا أوافقك على كل أفكارك يا رب .. وأتحمل كل ما تسمح لى به.

بل نسمعه – **فعلاً** – يقول: " لِذَلِكَ (أى لهذا السبب ؛ وهو إجزال النعمة له، وحلول قوة المسيح عليه) أُسَرُّ بِالضَّعَفَاتِ وَالشَّتَائِمِ وَالضَّرُورَاتِ وَالاِضْطِهَادَاتِ وَالضِّيقَاتِ لأَجْلِ الْمَسِيحِ. لأَنِّي حِينَمَا أَنَا ضَعِيفٌ فَحِينَئِذٍ أَنَا قَوِيٌّ" (٢كو ١٢ : ١٠).. لقد صلى لأجل **الشوكة** فقط.. فجاءته **النعمة الكافية لتغطى كل شئ**.. حتى **الشتائم**، مع أنه لم يُصلِّ من أجلها.. أوَ لَيست نعمة كافية؟

إن " سعيد " – الذى تناولنا قصته من قبل[٣] – وقد استلم حذاءه " الميرى ".. وجاء ضيقاً على قدميه مما أدماهما، قد وجد فى قريبه، المساعد (الصول) " معين " ، خير مساعد, وخير معين .. فى حل هذه المشكلة .. بتغيير الحذاء.. أو بالتصرف فيه بالتوسيع أو خلافه.. وهذه تماثل إحدى

خدمات المسيح كالكاهن العظيم(٣) .. الذى يعين المجربين.

أما هنا .. فعن طريق الصلاة والدعاء.. إما أن يتغير الحذاء استجابة للدعاء.. وإما - إن بقى كما هو - تتغير القدم ، لتتخذ " مقاس " الحذاء الضيِّق استجابة أيضاً للدعاء !!

عجيب هذا !!.. لكنها النعمة التى تجزل إلى الكيان الضعيف .. **فيتوافق فكرياً مع الله.. وعملياً مع الظروف.**

ونخطئ نحن عندما **نُصرُّ** فى صلاتنا على أن تتغير الظروف وفقاً لأعوازنا، فتغدو على "مقاسنا " .. لكن إن كان الله سامحاً فى حكمته أن تبقى الظروف كما هى.. ويظل الحذاء ضيقاً .. ألا يُعتبر أن الله قد استجاب صلاتنا وقتها؟.. بلى!.. إنه يستجيب .. ولكن من زاوية أخرى.. إنه فى هذه الحالة يغير كياننا بنعمته ليصبح فى " مقاس " الظروف.

أمعقول هذا ؟!.. لكنها النعمة التى تجعلني **أتحمل متكيفاً مع الظروف عملياً .. بعد أن أتوافق مع الله فكرياً , منحازاً إليه , مبرراً إياه .**

فإن شفانى، وكانت هذه مشيئته ، كنت **بالتبعية** في جانب الله.. وإن لم أُشف , صرت أيضاً , ولكن **بالنعمة** , في جانب الله.. إن حل لى مشكلتى، فهذه مشيئته ، وبالتالي أنا معه فكرياً على الخط .. وإن لم تُحل ، فهذا بسماحه .. وقتها سيمنحني نعمة كافية , تجعلني أيضاً معه على الخط .. **من الناحية الفكرية**, كمرحلة أولى.. إلى أن يتكيف باقي كياني **من الناحية العملية** , مع الظروف , كمرحلة تالية.

إن تغيير " مقاس " ظرف ما، هو معجزة تحدث **مرة واحدة**.. أما تغيير " مقاسى " أنا - بالنعمة - ليناسب هذا الظرف **بصفة مستمرة**، فهو معجزة **كل يوم**.. فأيهما أعظم استجابة ؟

بل هناك ما هو أعجب!! .. إنه بمرور الوقت وكثرة دخول المؤمن " فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ " (يع ١ : ٢) .. أو بلغة قصتنا، كثرة دخول قدم

" سعيد " في أحذية ضيقة ، تصبح قدمه **مرنة** .. وبكافة المقاسات.. أو كما يقولون " أوول سايز " - "All sizes" - فيا لللدهشة !!

يجوز أن كاتب هذه السطور لم يختبر هذا بعد.. أو ربما اختبره جزئياً.. لكنه قرأ عنه فيما لا يرقى إليه الشك، فى كلمات الرسول السعيد فى ذات الرسالة - فيلبى - رسالة البرية .. بتجاربها المتنوعة .. ومقاساتها **المختلفة**.. وأحياناً **المخالفة**.. ماذا قال؟ .. " أَسْتَطِيعُ **كُلَّ شَيْءٍ** فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي " (فى ٤: ١٣).. ما هذه **القدرة** على " كُلَّ شَيْءٍ " ؟ .. **إنها القدرة على التكيُّف مع كل الظروف - وليست القدرة على تغيير الظروف** , كما يظن البعض - إذ قال: ".... قَدْ تَعَلَّمْتُ أَنْ أَكُونَ مُكْتَفِياً بِمَا أَنَا فيه. أَعْرِفُ أَنْ أَتَّضِعَ وَأَعْرِفُ أَيْضاً أَنْ أَسْتَفْضِلَ(٤). فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ قَدْ تَدَرَّبْتُ أَنْ أَشْبَعَ وَأَنْ أَجُوعَ، وَأَنْ أَسْتَفْضِلَ وَأَنْ أَنْقُصَ " (في٤: ١١ ، ١٢).. لقد صارت قدمه - **رمزياً** - مرنة.. بل حتى معدته - **حرفياً** - صارت هى الأخرى مرنة ، وبكافة المقاسات - " All sizes " - وفى إمكانها أن تحتضن أى طعام يلقى إليها.. أو آثار طعام , بأية كمية قليلة كانت.. أو لا تحتضن شيئاً سوى الخواء.. تمضى به جائعة منكمشة على " مقاسه " .. ويمضى معها خامصاً منطوياً على جوعه.. متأقلماً مع كل وضع .. مستطيعاً كل شئ.. ولكن **فى المسيح** الذى يقويه.

فإن فرح، فهو يفرح ، ولكن **فى الرب** .. وإن استطاع كل شئ، فهو يستطيعه ، ولكن **فى المسيح .. فيا للإمكانية!!**

مع الشـــــكر

يقول الرسول: " مَعَ الشُّكْرِ " (فى ٤ : ٦).. لماذا؟.. هـل الـشكر شرط لاستجابة صـلاتى؟.. فـإن شـكرت أعطـانى..وإلا فـلا.

لم يشكر الشعب قديماً فى البرية.. بل على العكس تذمروا على الـرب (خر ١٦ : ٧) .. فماذا كانت النتيجة؟

تذمروا طالبين الغذاء (خر ١٦ : ٢) .. فـأطعمهم.. وأى طعـام؟.. المن (خر ١٦ : ١٥) .

تذمروا مشتهين اللحم (خر ١٦ : ٢ ، ٣) .. فملأهم.. وبأى قـدر؟.. حتى خرج من مناخرهم .. وصار لهم كراهة (عد ١١ : ٢٠).

تذمروا شاكين الأُوار (خر ١٧ : ٢) .. فـسقاهم .. ومـم؟.. مـن الصخرة (خر ١٧ : ٦ ، ٧) .. وهكذا.

بل العجيب هو ما نقرأه بهذا الخصوص: " فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: " سَمِعْتُ **تَذَمُّرَ** بَنِي إِسْرَائِيلَ. قُلْ لَهُمْ: فِي الْعَشِيَّةِ تَأْكُلُونَ لَحْماً وَفِي الصَّبَاحِ تَشْبَعُونَ خُبْزاً وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ " (خر ١٦ : ١١ ، ١٢).. **سمع تذمرهم وليس شكرهم**.. أو حتى **صلاتهم بدون شكر**.. سمع تذمرهم لا ليحسب لهم خطيـة.. بل ليعطيهم ما احتاجوا إليه.. إنها النعمة ، قبل ظهورها كاملة فـى المـسيح.. الأمر الذى أشار إليه الوحى فى العهد القديم , وفي كلمات داود علـى سـبيل المثال: " عَرَّفَ مُوسَى طُرُقَهُ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ أَفْعَالَهُ. الرَّبُّ رَحِيمٌ وَرَأُوفٌ طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ. لاَ يُحَاكِمُ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَحْقِدُ إِلَى الدَّهْرِ. **لَمْ يَصْنَعْ مَعَنَـا حَسَبَ خَطَايَانَا وَلَمْ يُجَازِنَا حَسَبَ آثَامِنَـا**.... لأَنَّهُ يَعْرِفُ جِبْلَتَنَا. يَذْكُرُ أَنَّنَا تُرَابٌ نَحْنُ " (مز ١٠٣ : ٧ - ١٤).

حسن .. فإن لم يكن الشكر شرطاً لاستجابة الصلاة ، فلماذا يقول " مع

الشكر"؟ .. إن العبارة الواردة قبلها هى ؛ " **الرب قريب** ".. من هنا ينبع الشكر.." الرب قريب " .. وليست التجربة .. أو المصيبة .. أو حتى ما يعتبره الكثيرون نهاية المطاف ؛ أي الموت, الذي ربما يكون قريباً بالفعل .. بل " الرب قريب " .. أرفع عيني فأراه .. وأمد يدى فألمسه .. وإدراكى لهذا يدفعنى إلى الشكر ، رغماً عن الظروف .. الشكر الذي ينبي عن تمتعي بقربه هذا .. ولما كان تمتعي بقربه هو المؤشر السليم إلى صحة موقعى .. والقياس الدقيق لسلامة وضعى .. لذلك فإن كان الشكر مطلوباً .. فهو مطلوب لا كشرط لاستجابة الصلاة ، ولكن كمؤشر لشركة مفترض تواجدها.

إذاً ما هى الشروط التى يجب توافرها في الصلاة حتى تستجاب؟

من قال أن هناك شروطاً ؟

نحن نقيم فى النعمة (رو ٥ : ٢) .. وليست هناك شروط تقوم بيننا وبين الله فى أى موضوع .. ولأن العهد جديد ومختلف، فلسنا طرفاً فيه كالعهد القديم.. حتى تكون هناك شروط.. وهذا موضوع آخر .

ودعنا نرى لمحة عن النعمة .. ما هى النعمة؟ .. كتب الرسول فى (٢ كو ٨ : ٩) : " فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ ".

فالنعمة إذا هى الله في محبته واصلاً إلينا في المسيح ، حتى يرفعنا إليه .. ومجمل القول أن النعمة هى المحبة العاملة.. فالمحبة هى طبيعة الله **فى ذاته** لأن " الله محبة " (١يو ٤: ٨) .. والنعمة هى طبيعته **عاملة** ؛ أي واصلة إلينا, وفاعلة فينا .. ولأن طبيعة الله مطلقة .. أى لا ترتبط بشئ.. فبالتالى محبته العاملة – أي نعمته – هي مطلقة أيضاً .. لا تتوقف على مقابل .. ولا ترتبط بشروط .. أو قل لى ما هو المقابل من جانبنا لافتقار المسيح ؟.. لا شئ طبعاً .. وما الدافع من جانبه لهذا الافتقار؟.. لا شئ ، سوى طبيعته المطلقة فى نشاطها .. أو بالحرى نعمته " .... تَعْرِفُونَ **نِعْمَةَ** رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ

أجْلِكُمُ افْتَقَرَ .... لِكَيْ تَستَغْنُوا....".

ومادمنا نقيم في النعمة , إذا ليست هناك شروط ، أو قواعد شرطية , لا لاستجابة الصلاة .. ولا لغيرها.

لكن هناك دائرة أكون فيها - أو أنا فيها شرعاً - وبالتالى تُقبل صلاتى شكلاً.

ودائرة أخرى تدور صلاتى داخلها، فتستجاب موضوعاً.

عدا بديهية مبدئية منطقية .. إذ دون بديهية مبدئية - ولو افتراضية - لا تبدأ، ولا تُبنى ، ولا تستقيم أية قاعدة رياضية .. أو نظرية هندسية .. أو قانون علمى.. أو حكم قانونى.. إلخ.

بديهية .. ودائرتان.

بديهيـــة أساسيـــة

هذه البديهية ذكرها يعقوب في رسالته عندما كتب: " **وَلَكِنْ لِيَطْلُبْ بِإِيمَانٍ غَيْرَ مُرْتَابٍ الْبَتَّةَ، لأَنَّ الْمُرْتَابَ يُشْبِهُ مَوْجاً مِنَ الْبَحْرِ تَخْبِطُهُ الرِّيحُ وَتَدْفَعُهُ. فَلاَ يَظُنَّ ذَلِكَ الإِنْسَانُ أَنَّهُ يَنَالُ شَيْئاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ. رَجُلٌ ذُو رَأْيَيْنِ هُوَ مُتَقَلْقِلٌ فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ**" (يع١: ٦- ٨) .

ذلك " أَنَّ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللهِ **يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ** " (عب ١١: ٦) .. بصفته واجب الوجود .. وإلا فإن هذا الشخص قد أسقط حتمية وجود الله.. وبالتالى **فلا منطق** لحديثه مع غير الموجود .

كذلك **يثق أن الله يسمع**.. بصفته غارس الأذن (مز ٩٤ : ٩) .. وإلا فقد أسقط صفة السمع عن الله .. وبالتالى **فلا مبرر** لمخاطبته من لا يسمع .

كما **ويثق أن الله " يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ** " (عب ١١: ٦).. بصفته الخالق الذي يتجاوب مع خلائقه (مز ١٤٥: ١٥) .. وإلا فقد أسقط صفة الاستجابة عن الله؛ أي تجاوبه مع خلائقه.. وبالتالى **فلا جدوى** من تقديم دعائه إلى من لا يستجيب.

أيضاً يثق أن الله **يملك أن** يمنح .. بصفته المالك لكل شئ (تك ١٤ : ١٩) .. وإلا فقد أسقط صفة الامتلاك عن الله .. وبالتالى **فلا معنى** لطلبه شيئاً ممن لا يملك.

وفى النهاية **يثق أن الله يقدر**- إذا شاء (مز ١٣٥: ٦) - أن يفعل.. بصفته القادر على كل شئ (تك ٤٨ :٣) .. وإلا فقد أسقط صفة القدرة عن الله.. وبالتالى **فلا نتيجة** ترجي من اللجوء إلى من هو عاجز وضعيف.

بديهيات متداعية تباعاً.. أو قل جزئيات من بديهية أساسية - أجملها

يعقوب فى كلمة " **الإيمان** " - تُبنى عليها منطقية الصلاة ، ولو من الناحية النظرية - كبداية - وذلك دون أن تكون شرطاً.

وانعدام وجود هذه البديهية ، أو البديهيات عند شخص ما ، تجعله إن صلى ، شخصاً متناقضاً مع نفسه..إذ كيف يكلم من لا يؤمن بوجوده ؟.. وكيف يخاطب من لا يسمعه ؟..وكيف يتوقع استجابة ممن لا يتجاوب؟.. وكيف ينتظر منحاً ممن لا يملك؟.. وكيف ينتظر فعلاً ممن لا يقدر؟

إنه والحال هكذا يشبه موجاً من البحر يتضارب مع نفسه بفعل الريح ، التي يفسرها لنا الرسول بولس فى (أف ٤: ١٤) بأنها؛ " **ريح تعليم** ".. ويفسرها يعقوب نفسه بأنها ؛ **آراء فكرية** ؛ فى قوله " **رجل ذو رأيين** ".. والمقصود رأيين متناقضين.. كأن لا يؤمن بوجود الله .. ولا بكونه يسمع .. إلخ.. ثم يتصرف بعكس ما يعتقد .. فيصلي.

هذه الآراء المتعارضة ، أو الرياح الفكرية المتصادمة , تخبط ذلك الشخص .. وتدفعه كموج البحر .. متقلقلاً في كل طرقه .. متضارباً مع نفسه، ومع العقل ، ومع المنطق السليم.

لذلك " فَلاَ يَظُنَّ ذَلِكَ الإِنْسَانُ أَنَّهُ يَنَالُ شَيْئاً مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ " (يع ١: ٧).. لا كشرط جزائي لانعدام إيمانه.. **بل كنتيجة طبيعية لصلاة لم تُرفع أساساً**.. ذلك لأن الشئ الأساسى الذى ينقصه حتى يستوى مع نفسه، أولاً - وهو صاحب الرأيين - وحتى يكون قد رفع صلاة ، ثانياً .. ليست طلباته , أو صلاته ، التى طلبها , أو صلاّها بدون إيمان .. بل **الإيمان نفسه** بوجود الله.. وقدرته على السمع.. والاستجابة.. والمنح.. والفعل.. الإيمان الذى هو أساس معقولية قيام صلاته .. والمبرر المنطقى لتقديمها إلى الله .. **وبغيابه انعدمت صلاته من الأساس**(٥).

لكن إن وُجد الإيمان هذا , تحول هذا الإنسان إلى رجل ذى رأى واحد.. وصفه النبى فى قوله: " **ذُو الرَّأْيِ الْمُمَكَّنِ** تَحْفَظُهُ سَالِماً سَالِماً لأَنَّهُ عَلَيْكَ مُتَوَكِّلٌ". (إش ٢٦: ٣).. هذه هى **البديهية** .. بقيت الدائرتان .

الدائرة الأولى

نأتى الآن إلى الدائرة الأولى .. وهى تختص بى.. إذ بوجودى داخلها تصبح صلاتى مقبولة شكلاً.. ما هى ؟ .. إنها " اسم المسيح "

يقول الرب له المجد : " **وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتَمَجَّدَ الآبُ بِالابْنِ. إِنْ سَأَلْتُمْ شَيْئاً بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ** ". (يو ١٤: ١٣، ١٤) .

ما معنى هذا ؟

هل معناه أنني بعدما أقدم طلبى , أذيله قائلاً: " باسم المسيح " ؟ .. كما لو كان هذا التعبير " أكليشيهاً " أضعه فى ختام صلاتى .. فأصبح كمن يكتب "عرضحال " ، ويذيّله مجاملة , أو استرضاء , بالعبارة : " وتفضلوا بقبول الاحترام " ؟.. كلاً طبعاً .

إذاً هل هو تعويذة ، أو طلسم سحرى , إن دبَّجت صلاتى به , أصبت طاقة مفتوحة من السماء .. فى ليلة مفترجة ؟ .. حاشا طبعاً .

إذا ما معنى أن أتقدم باسم المسيح ؟

إن من يكتب " عرضحال " ، يعرض فيه حاله على المسئولين طالباً قضاء أمر، أو إنصافاً ، أو خلافه.. إنه وإن كان طبيعياً , يذيل طلبه – تأدُباً – بالعبارة : " وتفضلوا بقبول .... " إلا أنه فى البداية – وهذا هو الأهم – فإنه يلصق طابع " تمغة " على رأس طلبه .. ما هى " التمغة " ؟.. إنها الضريبة التى تأخذها الحكومة منه نظير قبولها الشكلى لهذا الطلب .. لأنها من هذه الضريبة تصرف مرتبات موظفيها الذين يتناولون هذا الطلب بالدراسة أو خلافه .. إنها مطاليب الحكومة ، واستحقاقات موظفيها .. لذلك فإن الطلب " المتموغ " يقبل **شكلاً** .. بينما يرفض الطلب ناقص " التمغة ".

هذا من جهة الحكومة .. فمن باب أولى يكون الحال من جهة الله .. فأنا عندما أقدم طلبى إلى الله وأعرض حالى عليه , فإن له مطالبياً تقابل " التمغة " .. ما مقدارها يا ترى؟ .. إنها تتناسب مع الله نفسه .

وما الذى يتناسب مع الله؟

إنه إن تناسبت " أ " مع " ب " بأى نسبة ، ولو مهملة ، كواحد إلى مليار مثلاً .. ووصلت " ب " إلى اللانهاية.. وصلت " أ " - مع تفاهتها النسبية - بالتبعية إلى اللانهاية أيضاً .. أى أنه إن صار - أو كان- أحد طرفى التناسب مطلقاً ، صار - أو كان - الطرف الآخر مطلقاً بالضرورة .

وبالتالى فإن ما يتناسب مع الله ، هو بقدر الله نفسه .. لذلك فإن مطالبيه فى أى شئ، بصفة **عامة** ، هى بقدره جل شأنه .. والمطلوب تقديمه بصفة **خاصة** أيضاً إلى الله - كشئ يماثل " التمغة " - حتى يتنازل ويقرأ " عرضحالى " - مجرد قراءة - أو كى يعطينى أذنه فقط فيسمعنى - مجرد سمع - هو شئ يفوق العالم والأكوان .. والوصف والخيال .. إنه بقدر الله نفسه .. ومن أين لنا به؟ .. فيا للعجز!

لكن شكراً لله أن وُجدت " التمغة " التى توفى لله حقه .. إنها قيمة شخص **الابن** المعادل لله .. والذى **بموته** الكفارى فوق الصليب قد سدد كل المطاليب .. لا المختصة فقط بقبول طلباتنا ، بل بقبولنا نحن أيضاً بكل ما نحن عليه .. مما يرتبط بالزمان ، وبالأبدية .

إنه حتى أجسادنا , بما يعتورها من أمراض وأسقام وأوجاع.. مضاف إليها الخليقة كلها - العاقلة وغير العاقلة - بما يحدوها من آلام الزمان الحاضر.. مضافاً إليها الكل، حتى تراب الأرض، بما أصابه من لعنة .. قد دفع المسيح فوق الصليب " تمغة " - أي مطاليب - عتقها جميعاً (مت ١٣ : ٤٤) (مستقبلاً) " مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ " (رو٨ : ٢١).

" تمغة " كونية مطلقة .. عنا .. وعن الخليقة كلها .. وفَّاها له المجد

من فوق الصليب.

بل إن السماوات عينها , باحتياجها " لتمغة " هى الأخرى , فإن لصليب المسيح معها شأناً أيضاً (عب ٩ : ٢٣).. وهذه أمور خارج موضوعنا.

عرفنا " التمغة " .. فماذا عن صرفها ؟

إنها تصرف مجاناً ، لمن يريد ، من خزينة الجلجثة.. حيث صلب الرب.

ومن يحصل على هذه " التمغة " , بقبوله **شخص** المسيح **وعمله** .. فقد صار مقبولاً .. إذ قد أصبح مشمولاً بمظلتها الفائقة .. وبكمال قيمتها المزدوجة .. قيمة **ابن الله** .. وقيمة **عمله فوق الصليب**.. وصار له دخول إلى حضرة الله .. ليس فقط بأعوازه , أو " عرضحاله " ، بل بكل ما هو عليه , كإنسان مجبول من التراب.. من نسل ساقط .. له طبيعة فاسدة .. وقد أخطأ شأن الجميع .. لقد صار رغماً عن أى شئ مقبولاً فى المسيح .. والباب مفتوح أمامه فى كل حين .. لا لشئ إلا لأنه قد أصبح تحت مظلة هذه " التمغة " .. أو بلغة الكتاب قد تقدم " **باسم المسيح** " .. إذ صارت له ثقة بالدخول إلى الأقداس " **بِدَمِ يَسُوعَ** " (عب ١٠: ١٩).

فمن يأتى عن هذا الطريق .. وتحت هذه المظلة مزدوجة القيمة .. قيمة شخص المسيح , كابن الله .. وقيمة استحقاقات ذبيحته .. فقد غطَّته هذه القيمة المزدوجة .. وصار , **بصفة عامة** ، مقبولاً كقبول المسيح نفسه .. وصارت صلاته ، **بصفة خاصة** ، مقبولة , كما لو كانت مقدمة من المسيح نفسه .. وكما لو كان الآب يقول له : ما دمت قد جئت عن هذا الطريق , فها قد أعطيتك أذنى فتكلم .. ألم يقل المرنم : " أذناه إلى صراخهم " (مز ٣٤: ١٥) .. من هم أولاء؟ .. يقول: " الصديقون " (مز ٣٤: ١٥) .. أو بلغة العهد الجديد؛ اللذين هم في المسيح والمتقدمون باسمه.

لذلك فقد حق لسيدنا القول : " أنا هو الـ طريق .. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى

الآبِ إِلاَّ بِي " (يو ١٤ : ٦) .. هذا هو معنى " باســم المســيح ".

أو بتعبير آخر فإن " باسم المسيح " تعنى ؛ " من طــرف المســيح " باللغة الدارجة .. كمن يأخذ بطاقة " كارت " من لــواء أو صــاحب رتبــة .. ويذهب بها إلى مسئول كبير، ويقول له: أتيتك من طــرف " اللــواء فــلان " صديقك .. فيهش المسئول الكبير له.. ويكرم وفادته قائلاً:

☆ أأنت قريب " اللواء فلان"؟

❑ نعم.

☆ كأنما زارنى اليوم " اللواء فلان " نفسه.

كذلك عندما نأتى إلى الله " باسم المسيح " بما يحمله هذا الاسم من قيمة ودلالة لدى الله ، فكأنى ذهبت إليه ببطاقة أو " كارت " من المــسيح نفــسه .. قائلاً : " أنا من طرف المسيح " .. وكما لو كان الله وقتها يقول لــى : كأنــك المسيح نفسه يصلى.. فما طلبتك؟

إن من أتى باسم المسيح فقد اكتسب ذات قبول المسيح – كإنسان ممجد عن يمين العظمة في الأعالي – أو قل صار مسيحاً آخر في نظر الآب.. فيــا للوصول!!

ودون إرادة ، تقفز من الذاكرة هذه الأبيات الزجلية لأحد كبار الشعراء:

يــا بــاب أيــا مقفــول..إمتــى الــدخول؟
صــبرت يــا مــا .. واللــى يــصبر ينــول.
دقيــت ســنين .. والــرد يرجــع لــى .. مــين ؟
لــو كنــت عــارف مــين أنــا .. كنــت أقــول.

لماذا أنكر الشاعر هويته ، أمام ما اعتبره باباً عظيماً مغلقاً ؟ .. هل كــان يجهل حقيقتها فعلاً ؟.. أم أنه إمعانا فى الإحساس بضالته أمام عظمة هــذا البــاب، التبس عليه الأمر .. وتاهت منه هويته ؟ .. هل أنكرها تحايلاً ، خشية إن هو كشف

عنها ألا يُفتح له الباب ؟.. أم أنكرها يأساً بعدما كرر تحديدها , دون استجابة ؟

أيا كان الأمر .. وأياً كان الباب الذى يقصده الشاعر.. فإن هناك باباً عظيماً ، كان ولا يزال ، مقفلاً أمام الإنسان الطبيعى .. ابن آدم .. بصفته هذه .. ألا وهو باب السماء.

ورحلات الخيال تحفها المحاذير.. واللجوء إليها لتقريب الحقيقة ، مشروط بالعودة السريعة إلى أرض الواقع.

لذلك فإن كان الرسول بولس قد اختطف - حقيقة لا خيالاً - إلى السماء الثالثة .. وإلى الفردوس (٢كو١٢).. إلا أننى أسمح لنفسى - خيالاً لا حقيقة.. وهو خيال تنقصه دقة الحقيقة وجلاؤها - أن أتسلل خلفه .. متلصصاً - بخيالي - على ما دار معه من نقاش على باب الفردوس (مع توقيري الكامل , واحترامي الشديد للرسول) !!.. وهل للفردوس باب أو بواب ؟! .. ألم نقل أنه خيال؟[٦]

⊖ من أنت؟

● أنا بولس.

⊖ من بولس؟

● بولس الرسول.

⊖ أى رسول؟

● رسول الأمم (غل ٣ : ٧ ، ١تى ٢ : ٧).

⊖ أى أمم؟

● ألا تعرفنى؟

⊖ بل لم أسمع عنك.

● كيف؟.. وملايين من الوثنيين قد آمنت عن طريق كرازتى؟

⊖ أين؟

● فى العالم.

⊖ نحن هنا فى الفردوس.

● ألا يوجد لديكم فى الفردوس مؤمنون راقدون، انطلقوا مـن العـالم ليكونوا مع المسيح؟

⊖ بلى.

● أكثرهم أولادى فى الإيمان.

⊖ ليس بموضوع .. ماذا تريد؟

● أن أدخل.

⊖ قلت لك ما هويتك؟

● وأنا أجبتك بولس الرسول..آنية الوحى.. ومتلقّي الإعلانات.. وكاتب الرسائل العديدة.. وصاحب التاريخ العريض فى الكرازة.. وعلى مستوى العالم كله.

⊖ لا أعرفك.

● إذاً نادِ على اثنين أو ثلاثة من أولادى فى الإيمان , الذين انطلقـوا من العالم .. ووصلوا إليكم فى الفردوس.. ليشهدوا لك بأني الرسول بولس.

⊖ كلام غير مجدٍ.

● إن شهادة رجلين حق (يو ٨ : ١٧) ، حال سـكناهما دار البُطـل (جا ١ : ٢) .. فما بالك بشهادتهما ، وقد وصلا إلى حيث لا يوجـد كـذابون (رؤ ٢١: ٢٧) ؟

⊖ أصدق أنك بولس.. بل والرسول العظيم نفسه .. كاتب الرسـائل , وآنية الوحي .. وأصدق أن لك أولاداً في الإيمان في الداخل.. ودون أن أسـمع شهادتهم.

● إذاً دعنى أدخل.

⊖ كلا.

● ما دمت تصدق أنى بولس .. فلماذا؟

⊖ لأنك بولس الرسول العظيم .. ولا جواز عندنا لدخول أمثالك.

● لمن الدخول إذاً؟

⊖ اسأل نفسك .. ألست رسولاً ولك كتاباتك كما تقول؟

● صحيح كتبت.

⊖ ارجع لكتاباتك إذاً .. فكتابات الرسل عموماً - على قدر علمى - تلغى الإنسان .. أيّاً كان.

● قصدك ألغى بولس؟!

⊖ وغيره.. لم أقرأ كتاباتك .. لكن ألا يوجد فيها هذا المعنى؟

● بلى .. كتبت لاغياً بولس وأبولس.

⊖ عظيم .. وما البديل؟

● كتبت أنه لا بولس .. ولا أبلوس.. ولا صفا .. **بل المسيح** (١كو ١: ١٢ , ١٣).

⊖ اتفقنا.

● أتريدنى أن أقول لك أننى المسيح نفسه حتى أدخل ؟

⊖ **لا يدخل هنا إلا المسيح .. أو من هو على قياس المسيح** (١ كو١: ١٢ , ١٣ , ٢ كو٣: ٥ - ٧).

● قياس المسيح ؟

⊖ ألا ترى هؤلاء المنطلقين من العالم فى هذه اللحظة.. داخلين أمامك.. بينما أنت واقف ؟

● بلى.

⊖ .... مع كونهم مؤمنين عاديين.. وليسوا رسلاً ؟

● بلى.

⊖ كيف تراهم ؟

● أراهم **فى المســيح** .. وقد ذكرت ذلك فى كتاباتي (٢كو ٥ : ١٧).

⊖ لذلك فهم على قياسه.

● وأنا أيضاً فيه.

⊖ أصبت.. قل هذا لزميلى فى المحرس التالى.

وفى المحرس التالى:

⊖ من؟

● **بولس** فى المسيح.

⊖ كيف إذاً عبرت المحرس الأول؟

● زميلك.

⊖ عُد من حيث أتيت.

وعند المحرس الأول :

⊖ ماذا ؟

● أعادونى إليك.

⊖ ماذا قلت لهم عن هويتك ؟

● **بولس** فى المسيح.

⊖ ثانية **بولس**.. عجيب أمرك!.. ألم نتفق على إلغاء بولس وأبلــوس وكافة الأسماء , والشخصيات ؟

● ماذا أقول إذاً ؟

⊖ لا يرد اسم **بولس** على لسانك إطلاقاً لحظة الدخول ؟

● فمن أكون إذاً ؟

⊖ كالذين رأيتهم داخلين .. من كانوا ؟

● لا أعلم أسماءهم.

⊖ ولا أنا .. لكن ألم تر هويتهم ؟

● تقصد أناس **فى المسيح** ؟!

⊖ نعم.. **وهذا هو المطلوب وحده للدخول** .. ثم ليكن لأسمائهم ، أو لأعمالهم , أو لتاريخهم ، بعد ذلك , ما يكون من شأن .. فذلك فى الداخل.

● تقصد أن أقول فقط أنى إنسان في المسيح ؟

⊖ فقط لا غير.. **إنسان فى المسيح .. وليس بولس** فى المسيح.. إنسان، وأي إنسان حال كونه , فقط , فى المسيح .. إن السماء على قداستها المطلقة ، ترحب بك ، وبكل إنسان , **ما دام فى المسيح** .. والباب على استحكامه في وجه الناس عامة , مفتوح لك , ولكل إنسان , **ما أضحي في المسيح** .. والدخول على استحالته للبشر، ميسور لك , ولكل إنسان , **ما بات فى المسيح**.

وربما تاهت من الشاعر – فى أبياته الخيالية المذكورة – هويته الأصلية.. أو ربما لصدقه مع نفسه – وقد كان فعلاً كذلك – فقد وصل ، فقط، إلى وجوب إلغائها , في مواجهة الباب المبهم والمغلق أمامه.

أما بولس فى رحلته إلى الفردوس – وبعد إلغاء هويته الأصلية ، **كإنسان فى آدم** – فقد استخدم هوية جديدة ؛ هى " **إنسان فى المسيح** " .. فانفتحت له الأبواب .. فيا للهوية !!

لذلك فبعد عودته الحقيقية من الفردوس.. نعود نحن أيضاً خلفه من رحلتنا الخيالية .. لنقرأ ما كتبه ، بعد هذه العودة بأربع عشرة سنة ، مسوقاً من الروح القدس: " أَعْرِفُ **إِنْسَاناً فِي الْمَسِيحِ** .... اخْتُطِفَ هَذَا **إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ**. وَأَعْرِفُ هَذَا الإِنْسَانَ (وما زال فى المسيح).... أَنَّهُ اخْتُطِفَ **إِلَى الْفِرْدَوْسِ**...." (٢كو١٢: ٢– ٤).

إن الباب **مغـــلق** أمام الإنسان الطبيعى، بصفته **ابن آدم**.. زنديقاً كان أم ناسكاً.. كافراً كان أم متديناً.

لكنه **مفتــوح** أمام الإنسان .. أىّ إنسان ، بصفته فى المســيح.. **نعــم إنسان , وأى إنسان لمجرد كونه - فقط - فى المســيح.**

فإنسان **يدخل السماء الثالثة** ، **والفردوس**.. رغم كونه إنـساناً.. لأنــه " **إنسان فى المســيح** ".

وإنسان **يصلى فتُقبل صلاته**.. رغم كونه إنساناً.. لأنه **يــصلى "باســم المســيح"** .

وإنسان يستطيع كل شئ.. رغم كونه إنساناً .. لأنه **يستطيع ذلــك فــي المســيح** (في٤: ١٣).

وإنسان يموت .. لكنه يقوم ثانية (يــو١١: ٢٥) فـــي قيامـــة الأبـــرار (لو١٤ : ١٤) .. رغم عودته للتراب (تك٣: ١٩).. **لأنه يموت في المســيح** (١تس٤: ١٦)

فيا لقيمة وكفاية هذا الاسم!!

الدائرة الثانية

وهى الدائرة التي تتعلق **بطلبتـــي**.. والتي إن دارت داخلهـــا طلبتـــي، كانت مقبولة موضوعاً.. والمجال الذي إن جالـــت خلالــــه أدعيتـــي صـــارت مـــستجابة مـــضموناً.

ما هى هذه الدائرة ؟.. إنها دائرة **المشيئة الإلهية**.. لأنــــه " **إِنْ طَلَبْنَــا شَيْئاً حَسَبَ مَشِيئَتِهِ يَسْمَعُ لَنَا** " (١يو٥: ١٤).

إن البعض يظنون - أو يريدون - الصلاة تقتدر **مطلقــاً** - ولـــيس **كثيراً** كما يقول الكتاب (يع٥: ١٦) - فى فعلها.

فيريد المصلى - والحال هكذا - أن يصبح كمن يضغط على زر فى آلة.. وكما تخرج الآلـــة منتجهـــا.. فبـــنفس الكيفيـــة، والتوقيـــت، والرتابـــة، و" الروتين "، تأتى الاستجابة.. وفوراً.. ويتحول المصلى بذلك إلى شخص فائق (سوبر)..امتلك ناصية الأمور.. خصوصاً عندما تنتج هذه الآلة كافة المنتجات.. وتصلح لكل الأغراض.

إننا بهذا التفكير نجعل من الله آلة لتنفيذ رغباتنا.. ونجرده - تعالى عن هذا - من إرادته.. وحكمته.. والأوقات التى جعلها فى ســـلطانه (أع١: ٧).. وغير ذلك .. ونجعل من أنفسنا أصحاب الكلمة الأولى بصلواتنا.. ونسحب الله خلفنا.. تابعاً لنا.. مستجيباً **لكل** صلواتنا.. وفوراً.. متخـــذاً المرتبـــة الثانيـــة.. مجرداً من مشيئته.. وغيرها.. وحاشا أن يكون الأمر كذلك.

إن هناك **مشيئة إلهية** .. العبرة بها وليس بمـــشيئتى .. لأن " مَـــشُورَةُ الرَّبِّ هِيَ (التي) تَثْبُتُ " (أم١٩ : ١١).

فإن اتفقت المشيئتان؛ مشيئتى مع مشيئة الله.. قُبلت صلاتى موضوعاً.. (وذلك بعد قبولها الشكلى ، كما أشرنا في الباب السابق ، لوجودى فى الدائرة الأولى).

أما إن تعارضت المشيئتان .. فلا أنا سحبت الله خلفى منقاداً إلى مشيئتى لينفذها .. ولا ضاعت صلاتى سدى بسبب هذا التعارض.. ماذا إذاً؟

بالإضافة لقبولها الشكلى كما رأينا ، فإنها تُستجاب - موضوعياً - بطريقة مختلفة.. وهى جعلى أنا أتكيف مع الظروف .. متوافقاً مع الله .. منحازاً إلى صفه .. كما رأينا.

لكن كيف أعرف مشيئة الله؟ .. ليس هذا هو موضوعنا الآن.. لكن - بداية- لأصلى بأى إدراك أكون عليه لهذه المشيئة.. وبمرور الوقت ومن كيفية الاستجابة.. فإنى سأفهم فكر الله ومشيئته.. هذا إن لم أعرفهما قبل ذلك بطرق أخرى(٧).

ونحن لا نتكلم هنا عن الطلبات المرفوضة ، لكونها ردية، والمذكورة فى (يع٤ : ٣): " تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ، لأَنَّكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيّاً لِكَيْ تُنْفِقُوا فِي لَذَّاتِكُمْ ".. فهذا مفهوم.

لكن الكلام هنا عن شخص لا يطلب ردياً .. لكنه من وجهة نظره يطلب أموراً صالحة .. كإمكانيات صحية .. أو مادية .. أو .. إلخ .. ربما لاستخدامها فى عمل الرب (كبولس من جهة الشوكة كما رأينا) .. ومع هذا فإن ما يطلبه هذا المصلى لا يتفق مع مشيئة الرب.. **فليس بالضرورة أن يكون الردئ فقط هو ما لا يتفق مع مشيئة الرب.**

وجهل المصلى لهذه المشيئة .. ربما كان لحسن نية .. أو لرقة إدراك.. أو لضغط واقع عليه .. أو لضيق مُلمٍّ به .. إلخ .. لكن طلبته مع هذا قد بعدت عن مجال المشيئة .. وبالتالى خرجت عن دائرة القبول الموضوعى - رغماً عن قبولها الشكلى - لا يشفع فى ذلك حسن نيته .. أو بساطة إدراكه .. أو حرارة طلبته .. أو شدة احتياجه.

لكن هل تُعرض الطلبات على الله كما هى.. فيستلم منها - بعد وصولها إليه - ما هو صحيح وموافق لمشيئته.. ويرفض الباقى؟ .. أم يُحذف

منها – قبل وصولها إليه – ما كان مخالفاً لمشيئته .. أو بغير معنى .. ويُعرض عليه الباقى فقط؟.. ومن الذى يحذفه؟

لا أعلم تحديداً .. فليس لدى دليل كتابى صريح .. لكن دعنا نسأل هذا السؤال بالنسبة للسجود .. وهل يصل إلى الله على عواهنه .. أم بعد تنقيته ؟ .. ومن الذى ينقيه ؟

برجوعنا للعهد القديم ، نرى إحدى الخدمات التى كان يقوم بها الكاهن لمقدم المحرقة ؛ " وَإِنْ كَانَ **قُرْبَانُهُ** لِلرَّبِّ مِنَ **الطَّيْرِ** .... يَنْزِعُ حَوْصَلَتَهُ **بِفَرْثِهَا** وَيَطْرَحُهَا إِلَى جَانِبِ الْمَذْبَحِ شَرْقاً إِلَى مَكَانِ الرَّمَادِ " (لا١ : ١٤، ١٦)..ألا يكفى مقدم القربان **رقة قربانه** – إذ هو من **الطير** , لا من الحيوانات – حتى يقدمه **بفرثه** ؟ .. لكنه الإنسان فى عجزه, وجهله, وقلة حيلته.. إلامَ يرمز هذا ؟ – ودون الكلام عن المسيح كالمحرقة – فإننا نجد في القربان رمزاً لما نقدمه من ذبائح روحية (١بط٢: ٥) ؛ مثل " ذبيحة التسبيح أيْ ثَمَرَ شِفَاهٍ مُعْتَرِفَةٍ بِاسْمِهِ " (عب١٣ : ١٥) .. لكن تسبيحنا هذا ، أو قُل سجودنا بصفة عامة ، لا يخلو مما يشير إليه " الفرث ".. ويحتاج إلى تنقية .. فلا يكفينا هزالاً وفقراً أن يكون قرباننا مما يرمز إليه اليمام أو الحمام روحياً .. لكننا إمعاناً فى عجزنا ، وإضافة إلى إفلاسنا ، نقدمه " بفرثه " .. تأكيداً لجهلنا .. وتوثيقاً لقصورنا!!

وكالكاهن قديماً فإن المسيح – كاهننا العظيم الآن على بيت الله (عب١٠: ٢١) – ينقى سجودنا من كافة شوائبه وأخطائه – وما أكثرها – ويرفعه إلى الله .. ومن يد المسيح يقبل الله منا " ناردينا خالصاً كثير الثمن " (يو ١٢ : ٣) .. لذلك فإن الرسول يقول: "فَلْنُقَدِّمْ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ لِلَّهِ ذَبِيحَةَ التَّسْبِيحِ، أَيْ ثَمَرَ شِفَاهٍ مُعْتَرِفَةٍ بِاسْمِهِ " (عب١٣: ١٥) .. وبدونه لا نقدر أن نقدم – أو نفعل – شيئاً (يو١٥ : ٥).

إن إحدى خدمات المسيح لنا الآن كالكاهن العظيم .. هى تنقية تسبيحنا ، وعبادتنا ، وسجودنا وما نقدمه إلى الله.. فيا للراحة[٨].

هذا من جهة السجود.. فماذا من جهة الصلاة والدعاء ؟ .. أليست الصلاة سجوداً ؟.. من قال هذا ؟.. إن السجود تقدمة .. وهو بعكس الدعاء الذى هو طلبات .. والفرق بينهما ليس موضوعنا الآن.

لكن الرائى يوحنا يرى الصلاة - بعد وصولها إلى حضرة الله - بخوراً (رؤ٥: ٨).. مقترباً فى ذلك **بمنزلتها** من **منزلة** السجود.. مع اختلافهما فى **النوعية** .. عندئذ يجوز لنا أن نفكر فى احتمال تنقيتها هى الأخرى من كل ما يتعارض مع مشيئة الله.. ليُطرح جانباً " كالفرث ".. فلا يصل إلى الله منها إلا ما كان نقياً ومطابقاً لهذا المشيئة.. مع الوضع فى الاعتبار أن كلامنا فى هذه الحالة يصبح عن وصول الصلاة ودخولها إلى حضرة الله ، وعرشه .. وليس عن وصول سمع الله، ورؤيته ، وعلمه، إلى كل شئ في الكون .. طيّبا كان أم رديئاً.. فهو يرى ويسمع ويحيط علماً بكل شئ (مز١٣٩: ٢ - ١٠) .. حتى " مَا هُوَ فِي الظُّلْمَةِ" (دا٢: ٢٢).

أتهيب كثيراً وأنا أكتب.. إذ لا أجد لى من يراجع كتاباتى ، ويصوبها ، وينقيها .. مع أنها مقدمة لبشر مثلى.. مقاييسهم معروفة ومألوفة.. فكم يكون الحال عندما يتعلق الأمر بما يقدم فى الأقداس نفسها ؟ .. إن القياس وقتها يكون "عَلى شَاقِلِ القُدْسِ"(٩) (عد٣: ٤٧) .. أى بمقياس الله.. مما حدا بالجامعة أن يكتب ".... حِينَ تَذْهَبُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ .... لاَ تَسْتَعْجِلْ فَمَكَ وَلاَ يُسْرِعْ قَلْبُكَ إِلَى نُطْقِ كَلاَمٍ قُدَّامَ اللَّهِ. لأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاوَاتِ وَأَنْتَ عَلَى الأَرْضِ فَلِذَلِكَ لِتَكُنْ كَلِمَاتُكَ قَلِيلَةً. لأَنَّ الْحُلْمَ يَأْتِي مِنْ كَثْرَةِ الشُّغْلِ **وَقَوْلَ الْجَهْلِ** مِنْ كَثْرَةِ الْكَلاَمِ " (جا ٥: ١ - ٣).

لذلك فربما احتاج " عرضحالنا " إلى سكرتارية يمر عليها قبل تقديمه.. أو بالحرى احتاجت صلواتنا - هى الأخرى كالسجود - إلى كهنوت عظيم - لا تطاوله أعظم سكرتارية - لتنقيتها , قبل وصولها إلى الله.

وعلى أي الأحوال.. سواء مرّت صلواتنا وفُحصت بكهنوت المسيح ، أم لم تمر.. وصل منها إلى حضرة الله (إش٦٦:١) ما هو غير مطابق لمشيئته،

أم لم يصل.. فالنتيجة واحدة وهى ؛ عدم استجابة الله لما هو مخالف لمشيئته.

ومع هذا فإن الله – فى نعمته الغنية – فى هذه الحالة ، يكيِّف المصلى مع مشيئته الإلهية الصالحة فكرياً .. ثم يجزل له النعمة .. فتتكيف قدمه مع الحذاء الضيق .. لكى متى وصل المصلى – بمداومته على الصلاة – إلى مرحلة قبوله تقديم جسده " **ذَبِيحَةً حَيَّةً** " (رو١٢ : ١)، فإنه حتى رقبته ساعتئذٍ – وليس قدمه فقط – سوف تتطبع مع **السكين** المسلط على هذه الذبيحة .. وتبيت على " مقاسه ".. وبالنعمة يقبل ذلك بسرور.. فيختبر " مَا هِيَ **إِرَادَةُ اللهِ الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ** " (رو ١٢ : ٢) .. غير ساعٍ إلى تغييرها – كما يريد البعض , أو يدَّعي – بل متوافقاً معها تماماً.. فيا للتوافق!!

لتعلم طلباتكم

" لِـــــــتُعْلَمْ طِلْبَـــــاتُكُمْ لَــــدَى اللهِ " (فـــى ٤ : ٦).

تُعلم لدى الله .. وليس لدى الناس.

ما الذى يجب أن يُعلم لدى الناس؟ .. " **الحلم** " .. " لِيَكُنْ حِلْمُكُمْ مَعْرُوفاً عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ " (فى ٤ : ٥).. مـــا هـــو الحلـــم؟ .. إنـــه **طـــول الأنـــاة.. والتسامح..** وعدم رد الإساءة .. وعدم المحاربة , **ولو من أجل حقـــوقى..** إن تسامحى – حتى مع مغتصبى هذه الحقوق – يجب أن يكن معروفـــاً لجميـــع الناس.

أضيع أنا إذا؟.. ما دام تسامحى قد صار معروفاً لجميع الناس .. وأساء البعض استغلاله .. وأهدر حقوقي ؟ .. الكتاب لا يقول هـــذا.. بـــل يـــضيف مباشرة: " الرَّبُّ قَرِيبٌ " (فى ٤ : ٥) .. وما دام قريباً .. وما دام " **حَقِّي عِنْدَ الرَّبِّ** وَعَمَلِي عِنْدَ إِلَهِي " (إش ٤٩ : ٤) ، فإنه فى وقته " يُخْرِجُ مِثْلَ النُّورِ بِرَّكَ **وَحَقَّكَ** مِثْلَ الظَّهِيرَةِ " (مز ٣٧ : ٦).. إنه " لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّـــى يَـــضَعَ **الْحَقَّ** فِي الأَرْضِ " (إش ٤٢ : ٤).. و" يُخْرِجَ **الْحَقَّ** إِلَى النُّصْرَةِ. وَعَلَى اسْمِهِ يَكُونُ رَجَاءُ الأُمَمِ " (مت١٢ : ٢٠ ، ٢١).. فيا للإنصاف !

إنَّ عُرف الناس وعلى مستوى العالم كله ؛ أن " حقاً لا يـــضيع وراءه مُطالِب ".. أى لا تنازل ، ولا حلم.. بل جأر بالشكوى، وتوزيعهـــا فـــى كـــل مكان.. لتُعلم طلباتهم لجميع الناس.. من يعنيهم الأمـــر .. ومـــن لا يعنـــيهم.. فواحدة تخيب.. وأخرى تصيب .. فحرب ، بدل الحلم.. وإشـــهار الطلبـــات ، لجميع الناس ، بدل إعلامها لدى الله(١٠).

أما الكتاب فيصحح ما درج عليه البشر .. عاكساً إياه .. بقوله : " لِيَكُنْ **حِلْمُكُمْ مَعْرُوفاً عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ**. الرَّبُّ قَرِيبٌ. لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِـــي كُـــلِّ

شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، **لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى الله** " (فى٤: ٥، ٦).

لتُعلم طلباتكم **الآن** , لأن " الرب قريب " .. أما **في المستقبل** , فالمجد أيضاً قريب .. إن العبرانيين صبروا على مجاهدة آلام كثيرة وقبلوا سلب أموالهم بفرح .. لماذا ؟.. لسبب المجد.. وما فيه.. إذ يخاطبهم الرسول: " عَالِمِينَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَنَّ لَكُمْ مَالاً أَفْضَلَ **فِي السَّمَاوَاتِ** وَبَاقِياً " (عب١٠: ٣٢ - ٣٤).. فالرب قريب.. والتعويض الأفضل باقٍ وقريب .. إن لم يكن هنا , ففي المجد.. الذى هو أيضاً قريب .. فيا للتعويض !

أما الآن , " **فِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ** " .. ما المعنى؟..أن تُقبل شكلاً، وموضوعاً.. هذا القبول هو تأشيرة **بالعلم** من الله - بإعتباره الجهة الأعلى - على " عرضحال " مستوفٍ " للتمغة " .. ومطابق للمشيئة.

وكأني بسائلٍ:

■ عُلم فقط يا رب؟

☩ نعم.

■ ألا تعطينى إذاً .. مادام طلبي لا ينقصه شئ ؟

☩ انتظر.

■ إلى متى؟

☩ أنا علمت.. وهذا يكفى.

■ طال الوقت .. وأنا " مزنوق " .

☩ أنا أدْرَى منك.. وكما " لِكُلِّ أَمْرٍ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ وَقْتٌ " (جا٣: ١)، فلاستجابة طلبك **وقت** (لو١٢: ٣٠).. و" فِي **وَقْتِهِ** أُسْرِعُ بِهِ " (إش٦٠ : ٢٢) .. فأنا أعلم احتياجاتك (لو١٢: ٣٠) .. وتوقيت تلبيتها.

■ ولكني " يَا رَبُّ قَدْ تَضَايَقْتُ " (إش٣٨ : ١٤).

☩ " تَكْفِيكَ نِعْمَتِي" (٢كو١٢: ٩).

ثم لا يتركنى الرب معذباً فى الجذف (مر٦: ٤٨).. بل يعطينى نعمة

تكفيني، فتكيّفنى مع الظروف ، حتى يأتى وقت الاستجابة .. وقد يجئ سريعاً.. وقد يطول إلى " الهزيع الرابع " (مر٦: ٤٨).. لكن، وإن تأنى الرب، ولو طال الوقت، فإنه " يُنْصِفُ مُخْتَارِيهِ الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَاراً وَلَيْلاً وَهُوَ **مُتَمَهِّلٌ** عَلَيْهِمْ. أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يُنْصِفُهُمْ **سَرِيعاً** " (لو١٨: ٧، ٨).

هنا نجد ما يشبه اللغز .. هل **يتمهل** فى الاستجابة أم ينصفهم **سريعاً** ؟.. كيف تتفق كلمة " **يتمهّل** " مع كلمة " **سريعاً** " ، فى عبارة واحدة ؟.. إنه " **يتمهل** " حتى يحين الوقت.. ومتى حان " **فسريعاً** " تأتى الاستجابة.

كأن يعود الطفل من مدرسته جائعاً مطالباً أمه بالطعام..لكن الطعام لم ينضج بعد.. عليه أن ينتظر .. وأمه **تتمهل** حتى يتم النضج .. ومن ثم تعطيه **سريعاً** ما يريد.. فإن كان هذا من جهة الأم، ورأيها فى الوجبة، وتوقيت نضجها، فكم يكون الأمر من جهة الله، فى حكمته المطلقة ، بخصوص وقت الاستجابة (أو كيفيتها) ؟

- ونقرأ ما كتبه الشاعر فى بلاغة رائعة :

أنا قلبى كورة والفراودة أكَم
يا ما اتنطح وانشاط وياما اتعكم
وأقول له كله ح ينتهى فى المعاد
يقول بساعتك؟ .. واللا ساعة الحكم؟

وإن كانت أمام المؤمن **معارك** ، لا مباريات - هى فى الكتاب أربع معارك.. للمؤمن في كل منها دور مختلف(١١) - وإن كنا نختلف مع الشاعر في تشبيهنا بالكرة .. إلا إننا نتفق معه في أننا لا نمسك صفارة النهاية .. وفى أن توقيت هذه النهاية ليس وفقاً لتقديرنا نحن .. ولا يقاس بساعتنا.

فلله ساعة تختلف عن كل الساعات، ولو كانت ساعة "بيج بن".. وتوقيت يختلف عن كل التوقيتات، ولو كان توقيت " جرينتش ".

نعود إلى موضوعنا وهو وقت الاستجابة.. لنرى أمثلة " ثلاثة ".. اثنين من الكتاب.. وآخر من التاريخ.

المثال الأول

وهو من الكتاب .. إننا نجد شخصاً كإبراهيم .. " قَدَّمَ .... إِسْحَاقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ " (عب١١ : ١٧).

وربما يسأل سائل؛ أما كان من الممكن أن يخفف الله من تجربة إبراهيم .. فما أن يبكر .. ويشد على الحمار .. ويتأهب للذهاب .. حتى يناديه الله: " لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئاً لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ " (تك٢٢: ١٢) .. رافعاً بذلك عن كاهل إبراهيم قنتاً ثقيلاً ؟

كلا .. لم يفعل الله .. بل تركه يذهب بإسحق مع الغلامين.. وصولاً إلى اليوم الثالث ، (وما يرمز إليه من ألم).. فهل انتهت التجربة بذلك الوصول؟

كلا .. يقول قائل: أليست الأعمال بالنيات.. إن كان هذا صحيحاً في نظر من يفحص القلوب، لكن هناك اعتبارات أخرى يعلمها الله.. ولمَّا يعلمها إبراهيم بعد.. إن الله يريد أن يُظهر إيمان إبراهيم للناس.. ولا شأن للناس بالنيات.. لذلك نقرأ: " رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ الْمَوْضِعَ مِنْ بَعِيدٍ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِغُلاَمَيْهِ: اجْلِسَا أَنْتُمَا هَهُنَا مَعَ الْحِمَارِ وَأَمَّا أَنَا وَالْغُلاَمُ فَنَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ " (تك٢٢: ٤، ٥).. فهل أنهى الله رحلته عند هذا الحد.. وكفى الله إبراهيم لمظاً للمرار؟

كلا.. " أَخَذَ إِبْرَاهِيمُ حَطَبَ الْمُحْرَقَةِ وَوَضَعَهُ عَلَى إِسْحَاقَ ابْنِهِ وَأَخَذَ بِيَدِهِ النَّارَ وَالسِّكِّينَ " (تك٢٢: ٦) .. فهل قال له الله: ارجع؟

كلا.. " فَلَمَّا أَتَيَا إِلَى الْمَوْضِعِ .... بَنَى هُنَاكَ إِبْرَاهِيمُ الْمَذْبَحَ " (تك٢٢: ٩).. فهل وقف الامتحان؟

كلا.. " رَتَّبَ الْحَطَبَ " (تك٢٢: ٩) .. فهل انتهى زمن الإجابة ؟

كلا .. لعله امتحان مفتوح.. وبدون أجل مسمى.. "رَبَطَ إِسْحَاقَ ابْنَــهُ" (ع٩) .. دخلنا الآن فى الوقت الحرج .

" وَضَعَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ فَوْقَ الْحَطَبِ" (ع٩).

تصاعدت المحنة إلى قمتها .." ثُمَّ مَدَّ .... يَدَهُ وَأَخَذَ السِّــكِّينَ لِيَــذْبَحَ ابْنَهُ " (ع١٠).

انتهى الأمر إذاً .. وإن كان هناك من لا يتحمل رؤية هذا المشهد كمــا صوره بعض الرسامين .. أو تخيله .. فليغمض عينيه .. أو فلينشغل بموضوع أخر.

لكن **وقتها** .. أى نعم.. **وقتها فقط** ، "نَادَاهُ مَلاَكُ الرَّبِّ مِــنَ الــسَّمَاءِ" (ع١١) أن:

"إبراهيم إبراهيم" (ع١١).

"هأنذا" (ع١١).

" لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئاً لأَنِّي **الْآنَ** عَلِمْــتُ أَنَّــكَ خَائِفٌ اللهَ فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي " (ع١٢).

وكأنى بإبراهيم يرد:

الآن فقط يا رب؟ .. لقد صار إسحق - وصرتُ معــه - فــى عداد الموتى.

وكأني بالرب يجيبه:

✝ ألم يكن جسدك " مُماتاً " (رو٤: ١٩) يوم أعطيتك إسحق؟

وأنت الذي " يُحْيِي الْمَوْتَى وَيَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُــودَةِ كَأَنَّهَــا مَوْجُودَةٌ " (رو٤: ١٧).

✝ وهل تغيرتُ؟.. أم لو مات إسحق، كنت أعجز عن إقامته؟

كلا.. فأنت " قَادِرٌ عَلَى الإِقَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ" (عب١١: ١٩).

فلو تقدم الله لحظة قبل ذلك، ومنع إبراهيم من ذبح إسحق، لم يكن ليلمع إيمان إبراهيم بهذا القدر.. إذ لو أوقفه الله عند المرحلة السابقة مباشرة لقلَّت درجات إبراهيم أمام الناس درجة عن الدرجة النهائية - هذا بلغة الامتحانات - فإن كانت الدرجة النهائية هنا هى تسعة ، بقدر عدد مراحل الامتحان إبراهيم .. أو للتسهيل ، فلنقل عشرة , لحصل إبراهيم وقتها على تسع درجات من عشرة.. ولو قبلها لحصل على ثمان فقط.. أما لو كان الله قد أوقفه فى بداية رحلته لحصل على درجة واحدة .. ولنجح فى نظر الله .. هذا صحيح.. لكنه لم يكن ليتزكى إيمانه أمام الناس , بحصوله على الدرجة النهائية.. قاطعاً الطريق بذلك على من يطعن فى صحة إيمانه السابق , المؤدي إلى نواله البر بهذا الإيمان (رو ٤ : ١ - ١٣).. وأيضاً إلى إيمانه اللاحق , المؤدي إلى استحقاقه أن يصير أباً لجميع الذين يؤمنون (رو ٤ : ١٣).

ألهذا امتحنتنى يارب وتمهلت علىّ ، وأنا مجرَّب (عب ١١: ١٧)

✝ أتريد التزكية مجاناً ؟ .. **لقد حُسب لك البر مجاناً** , بخبر الإيمان (رو٤، غل٣).. **أما التزكية فلها ضريبتها.**

" أتاريك ناوى " على خيرى ، رغم تمهلك علىّ ؟

✝ ومنذ متى كنت " ناوياً " على غير الخير؟.. " الأَفْكَارَ الَّتِي أَنَا مُفْتَكِرٌ بِهَا عَنْكُمْ .... أَفْكَارَ سَلاَمٍ لاَ شَرٍّ لأُعْطِيَكُمْ آخِرَةً وَرَجَاءً" (أر٢٩: ١١).

تبرَّرتَ فيما فعلتَ.

✝ وأنت أيضاً يا إبراهيم تبررتَ بالأعمال (يع ١ : ٢١).. بعد أن سبق وتبررت بالإيمان (رو ٤ : ١ - ٦ ، غل ٣ : ٢)[١٢].

أما لو كان الله قد تأخر لحظة , ولم يُنادِ إبراهيم، لكان إسحق قد ذُبح .

فلو **تقدم الله** لحظة , لما نجح إبراهيم فى الامتحان بهذه التزكية.. ولو **تأخر** لحظة , لمات إسحق بيد **أبيه** .. لكنه فى وقته.. **وفى وقته فقط** يسرع به (إش ٦٠ : ٢٢) .. لا يتقدم لحظة .. ولا يتأخر لحظة.. بل ينصف مختاريه الصارخين إليه.. وهو **متمهل** عليهم.. وينصفهم **سريعاً**.. ولكن فى وقته.. فيا للحكمة!

وما دورنا ، ونحن مجربون كإبراهيم.. أو متألمون لسبب أو لآخر .. والله متمهل علينا ؟.. يقول الرسول.. " فَإِذاً، الَّذِينَ **يَتَأَلَّمُونَ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ** اللهِ فَلْيَسْتَوْدِعُوا أَنْفُسَهُمْ كَمَا لِخَالِقٍ أَمِينٍ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ" (١بط٤: ١٩).. أى يسلموا أنفسهم للخالق الأمين .. مستمرين ومواظبين على عمل الخير.. بمعنى أن أمشي بإسحق إلى المُرِيَّا , طالما كانت هذه هى مشيئة الرب.. وكان ألمي بحسب هذه المشيئة.. واستمر ماشياً به إلى المذبح .. وإلى الحطب .. وإلى السكين.. حاملاً صليبى (لو ٩ : ٢٣).. محتملاً شوكتي (٢كو ١٢ : ٧)[١٣].. طالما أن هناك خلف الستار خالقاً أميناً.. يزن تجربتي (أم٥:٢١), فيتراءف على جبلتى (مز١٠٣ : ١٤) .. يقدر شوكتي , فيرثى لإنسانيتى (عب ٤ : ١٥) .. يسبر أعماقي , فيشفق على إسحاقى.. إنه " **يَهْوَهْ يِرْأَهْ** " (تك٢٢: ١٤).. أى **الرب يرى** .. والرائع أنه ؛ يرى **له** .. قبل أن يرى **لى** (تك٢٢: ٨) .. فالقضية قضيته - باعتباره **خالقى الأمين** - قبل أن تكون قضيتى - باعتبارى **المخلوق الضعيف** - " **اللهُ يَرَى لَهُ الْخَرُوفَ لِلْمُحْرَقَةِ يَا ابْنِي**" (تك٢٢: ٨).. والحل للمشكلة يا ولدى.. وذلك على كافة المستويات .

فعلى المستوى الشخصي " كإبراهيم " ؛ **الله يري له الخروف** للمحرقة (تك٢٢: ٨) .. وعلى مستوى الخدمة في العهد القديم ؛ الله يقيم **لنفسه** كاهناً أميناً (١صم٢: ٣٥) .. وعلى مستوى الشعب وحكمه ؛ الله ينتخب **لنفسه** رجلاً حسب قلبه (١صم١٣: ١٤).. الكل مرتبط به .. إذ هو " **مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ** كُلُّ الأَشْيَاءِ " (رو ١١ : ٣٦).. لتمجيد اسمه العظيم.

المثال الثاني

وهو من التاريخ .. وفيه نجد أم **أغسطينوس**، وقد صلَّت سنين عديدة من أجل ابنها.. وكان بعيداً عن الله.. منتفخاً بعلمه.. متعالياً على كلمة الله.

لم تُجدِ معه توسلاتها كى لا يسافر إلى إيطاليا .. فينغمس هناك أكثر فى الفساد والمجون.

تركها دون وداعٍ .. وجلست على الرابية المطلّة على البحر المتوسط , ترقب بدموع ولوعة سفينته تشرع مبتعدة متصاغرة تدريجياً، حتى تلاشت وراء الأفق.. لقد ذهب أغسطينوس إلى الكورة البعيدة.. وضاع إلى الأبد.. فلن تراه هنا.. ولا فى الأبدية .. هكذا كانت تهاجمها الوساوس.

لكن هل ضاعت طلباتها وصلواتها ؟.. وهى طلبات مستوفاة " للتمغة ".. ومطابقة للمشيئة (اتي ٢: ٤ , ٢بط ٣: ٩) .. وبالتالى لا يوجد ما يمنع قبولها شكلاً ، ولا موضوعاً ؟ .. كلا.. لقد صلت ، ولما تَزَلْ تواصل الصلاة بدموع من أجله.. حتى أن أحد رجال الله عقب على ذلك بقوله: " لا يمكن أن يهلك ابن هذه الدموع ".

وكم كان فرح مونيكا عظيماً.. عندما حضرت بعد هذه السنين الطويلة حفل معمودية ابنها أغسطينوس فى الكاتدرائية.. لقد زرعت **ببكاء ودموع**.. **وتمهّل** الرب عليها طويلاً.. لكنه أنصفها **سريعاً**.. وذلك قبيل انطلاقها بوقت قصير.. فجعلها تحصد **بابتهاج وترنم** (مز ١٢٦ : ٥، ٦).

وجدير بالذكر أن "أديوداتس" حضر حفل المعمودية هذا.. ولم يكن ذلك الشاب سوى ابن غير شرعى لأغسطينوس.

أينتظر الرب حتى يكون لأغسطينوس ابن غير شرعى.. فتُستعلن

خطيته - التي حدثت قبل إتيانه للمسيح - على رؤوس الأشهاد ؟ .. ربما كان هذا لكى يُظهر الله غنى نعمته المعطاة لأغسطينوس .. لأنه " حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدّاً " (رو ٥: ٢٠).. فيا للحكمة من توقيت الاستجابة!!

حقاً " يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الِاسْتِقْصَاءِ! لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيراً؟" (رو ١١: ٣٣، ٣٤).

وإن كانت أم أغسطينوس قد حصدت ثمار صلاتها فى حياتها، فدعنا نرى ما هو أبعد.

المثال الثالث

وهو من الكتاب.. لقد تضرع موسى إلى الرب في ختام حياته (تث٣: ٢٣) .. وبينما لم يسجل الكتاب إلا عبارة واحدة لموسى.. سجّل ردوداً عديدة لله على موسى.. كما لو كانت حواراً من طرف واحد.. مما يجعلنا نستنتج أنه كانت هناك عبارات أخرى قالها موسى لم تُسجّل .. وربما كان الحوار شيئاً قريباً من هذا.. بمبادرة من موسى:

🕮 " دَعْنِي أَعْبُرْ وَأَرَى الأَرْضَ الجَيِّدَةَ التِي فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ هَذَا الجَبَل الجَيِّدَ وَلُبْنَانَ" (تث٣: ٢٥).

✝ "اصْعَدْ إِلى رَأْسِ الفِسْجَةِ وَارْفَعْ عَيْنَيْكَ إِلى الغَرْبِ وَالشِّمَالِ وَالجَنُوبِ وَالشَّرْقِ وَانْظُرْ بِعَيْنَيْكَ لكِنْ لا تَعْبُرُ هَذَا الأُرْدُنَّ " (تث ٣ : ٢٧).

وأتصوره يحتج:

🕮 أتعب أربعين عاماً ! .. ثم لا أدخلها ؟!

✝ "اصْعَدْ إِلى جَبَلِ عَبَارِيمَ هَذَا جَبَلِ نَبُو الذِي فِي أَرْضِ مُوآبَ الذِي قُبَالةَ أَرِيحَا وَانْظُرْ أَرْضَ كَنْعَانَ .... وَمُتْ فِي الجَبَلِ الذِي تَصْعَدُ إِليْهِ وَانْضَمَّ إِلى قَوْمِكَ كَمَا مَاتَ هَارُونُ أَخُوكَ فِي جَبَلِ هُورٍ وَضُمَّ إِلى قَوْمِهِ" (تث٣٢: ٤٩، ٥٠).

🕮 ألا أذوق من تعبى؟

✝ " تَنْظُرُ الأَرْضَ مِنْ قُبَالتِهَا وَلكِنَّكَ لا تَدْخُلُ إِلى هُنَاكَ" (تث٣٢: ٥٢).

🕮 أأزرع.. ثم لا أحصد؟

✝ " إِلى هُنَاكَ لا تَعْبُرُ " (تث٣٤: ٤).

🕮 ألا من استئناف؟

✝ " كَفَاكَ .. لا تَعُدْ تُكَلِّمُنِي أَيْضاً فِي هَذَا الأَمْرِ" (تث٣: ٢٦).

📖 إن أغلقت باب الاستئناف بقولك؛ " كفاك "، فهل أغلقت أيضاً باب النقض .. أو حتى مجرد الحوار بقولك: " لا تَعُدْ تُكَلِّمُنِي " ؟

✝ من عرف فكرى أو من صار لى مشيراً (رو ١١: ٣٤)؟ .. أو من سألني - في حوار - فأجاوبه (أى ٣٣ : ١٣) ؟

📖 "صَمَتُّ. لاَ أَفْتَحُ فَمِي" (مز ٣٩: ٩).

و" صَعِدَ مُوسَى مِنْ عَرَبَاتِ مُوآبَ .... إِلَى جَبَلِ نَبُو إِلَى رَأْسِ الفِسْجَةِ .... فَأَرَاهُ الرَّبُّ جَمِيعَ الأَرْضِ .... وَقَالَ لهُ الرَّبُّ.... قَدْ أَرَيْتُكَ إِيَّاهَا بِعَيْنَيْكَ وَلَكِنَّكَ إِلَى هُنَاكَ لا تَعْبُرُ. فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ ....وَدَفَنَهُ فِي الجِوَاءِ" (تث٣٤ : ١- ٦).

يقول قائل:

✱أهكذا تكون مكافأة الجهاد والتعب؟.. أم أن نهاية تاريخ واحد من أعظم أبطال الكتاب يجب أن تكون تراجيدية بهذا الشكل؟

■ من قال أنها النهاية؟

✱ لقد مات موسى .. وانتهى الأمر.. دون استجابة صلاته .. الأمر الذي يدل على أنها كانت مرفوضة.

■ بل مقبولة شكلاً , وموضوعاً.

✱ عجيب!!

■ لقد **عُلمت طلبته لدى الله** .. وأشّر على " عرضحاله " بالعلم والموافقة .. مع إرجاء التنفيذ لوقته.

✱ وهل بعد الموت وقت ؟

■ لعل الموت مشكلة لدى الله ؟

✱ مات موسى فكيف سيدخل أرض كنعان؟..أم أنها ستصعد هى إليه؟!

■ عند الرب مخارج.. حتى للموت (مز٦٨: ٢٠).

✸ كيف ؟!

■ الأمر بسيط .. إن لم تصعد أرض كنعان إلى الفردوس.. ينزل موسى إليها.

✸ أممكن هذا ؟

■ " غَيْرُ الْمُسْتَطَاعِ عِنْدَ النَّاسِ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ" (لو١٨: ٢٧).

✸ أيعود موسى إلى الأرض؟

■ ولِمَ لا ؟

وبعد قرابة ألف وخمسمائة عام – بحساب الأرض – مرت على دخوله الفردوس، أتخيل أنه نودى على موسى.

☦ موسي.

🕮 أي نعم.

☦ انزل

🕮 أنزل ؟! .. إلى أين؟

☦ إلى الأرض.

🕮 أى أرض؟

☦ أرض كنعان.. أم نسيت كلماتك : " الأَرْضَ الجَيِّدَةَ .... الجَبَلَ الجَيِّدَ وَلُبْنَانَ " (تث ٣ : ٢٥).

🕮 ماذا حدث؟

☦ لقد عُلمت طلبتك يوم صليتَ ، والآن **حلَّ وقت** استجابتها.. نضجت ثمرتك، و اليوم **حان موسم** قطافها.

🕮 تقول يوم صليتَ ! .. متي ؟

☦ إبَّان حياتك.

📖 أية صلاة تقصد يارب ؟

✝ صلاتك الأخيرة , قبل موتك .. بخصوص دخولك كنعان.

📖 كم من الوقت مر عليها ؟

✝ كثير .. بحساب الأرض.

📖 لقد نسيتُها .. أفما زلت تذكرها ؟

✝ وهل تظنني أنسى ؟

📖 ما حكمتك إذاً من منعي من دخولها وقتها؟.. هل هي خطيتي ؟ (عد ٢٠ : ١٠).. أنْتِ " غَافِرُ الْإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ " (خر ٣٤ : ٧).. وإلا ما كنت أدخلتني الفردوس , من الأساس.

✝ أنت وسيط عهد الناموس (غل ٣ : ١٩) .. وبالناموس لا ميراث لأرض ، أو غير أرض (غل٣: ١٨).. فكان يجب أن **تموت** - كممثل لمن هم تحت الناموس - فلا تدخل ، ولا ترث (رو٤: ١٣، ١٤).. ألم يصر إبراهيم **مماتاً** أولاً قبل أن يُعطى إسحق الوارث (رو٤: ١٩) ؟.. فلا مجئ للوارث نتيجة لنشاط جسدي، ولو كان من إبراهيم.. ولا حصول على الميراث نتيجة لمجهود ناموسي، ولو كان منك يا موسى(١٤).

📖 وأنا ما زلتُ وسيطاً .. فهل جدَّ جديد حتى أدخلها الآن ؟

✝ بل **مُتَّ** كالوسيط .. وانتهت علاقتك بالناموس .. لأن " النَّامُوسَ يَسُودُ عَلَى الإِنْسَانِ مَا دَامَ **حَيّاً** " (رو٧: ١) .. وبانتهاء علاقتك بالناموس ، لك أن تدخل الأرض .. كما أن عهد **الناموس نفسه** المعطي بك (يو١: ١٧) .. قد شاخ وعتق .. وفي طريقه للاضمحلال (عب٨: ١٣) .. بصليب الرب.

📖 صليب الرب ؟!

✝ نعم .. الابن المتجسد .. الذي من أعوام قليلة مضت ، تجسد وحل بين شعبك ، " مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً " (يو ١ : ١٤) .. لا وصية وناموساً.. وحالاً ستراه متجلياً فوق الجبل.

📖 الأمر إذاً لا يتعلق بي .. بل بمتطلبات مشورتك.. ومقتضيات مجدك.. وتتميم رموزك .. وليمت عبدك موسى.. وسيطاً كان أم غير وسيط.

☩ وبخيرك أيضاً .. فلا انفصال بين مقتضيات مجدى، وبين خيرك (أو خير الإنسان عموماً).

📖 كيف ؟

☩ أيهما أفضل لك ، أن تدخلها مع من اعتزموا رجمك مرة (خر١٧: ٤).. وأساؤوا إليك مرات .. أم تدخلها **ظاهراً بمجد**.. وفى حضرة **رب المجد** نفسه.. متجسداً ، **وظاهراً بالمجد؟**

📖 والمدة الطويلة بين صلاتى واستجابتها ؟

☩ تمتعتَ فيها فى الفردوس.. فما الخسارة ؟

📖 **تبررتَ** فيما فعلت !! .. " عَظِيمَةٌ وَعَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. عَادِلَةٌ وَحَقٌّ هِيَ طُرُقُكَ يَا مَلِكَ الْقِدِّيسِينَ" (ترنيمة موسى فى السماء) (رؤ١٥: ٣).

لحظات ، وكان موسى مع إيليا فوق الجبل معايناً – لا الأرض الجيدة ، والجبل الجيد ، ولبنان ، كما طلب بل – عظمة ربنا يسوع المسيح .. ومقبلاً عليه " صَوْتٌ كَهذَا مِنَ الْمَجْدِ الأَسْنَى: «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرِرْتُ بِهِ» " (٢بط ١ : ١٧) .. في استجابة فاقت صلاته .. حقاً إنه " الْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ **فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ أَكْثَرَ جِدًّا مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ** " (أف ٣ : ٢٠).

هكذا نحن أيضاً, يصل بنا الله – نتيجة للصلاة – إلى **توافقنا، مرة أولي , مع فكره** .. ومن ثم **تبريره** فيما يفعل .. أما المدة التى تنقضى حتى يأتى وقت الاستجابة.. طالت أم قصرت.. فإنه يمتعنا فيها بالنعمة التى يجزلها لنا بكفاية.. **فنتوافق، مرة ثانية , عملياً مع الظروف** (٢كو١٢: ٩) .. متقبلين إياها بشكر(١تس٥: ١٨) .

سلام الله

" سَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ" (فى٤: ٧)

ما هو سلام الله؟.. جدير بالذكر أن السلام قد ورد فى العهد الجديد بمدلولات ثلاثة.

أولها: سلام مع الله؛ نتيجة التبرير بالإيمان.. " فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (رو٥: ١) .. وهو عدم الخوف من الوجود فى حضرته.. بل الهدوء والسكينة فى هذه الحضرة.. على خلاف آدم، الذى نسمعه بعد سقوطه يقول لله: " سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ **فَخَشِيتُ** لأَنِّي عُرْيَانٌ **فَاخْتَبَأْتُ** " (تك٣: ١٠).. أما من تبرر بالإيمان فقد اكتسى المسيح براً[١٥].. ولم يعد عرياناً.. حتى يخاف أو يختبئ .. بل صارت تلذ له حضرة الله (مز١٦ : ١١) .. ويستكين تحت ظله (مز٩١: ١، نش٢: ٣).. لقد صار له سلام مع الله .. أو بلغة الرسالة إلى العبرانيين , صار له ضمير مُكَمَّل (عب ١٠: ١) .. لا " ضمير خطايا " (عب ١٠: ٢) .. وهذا ليس موضوعنا الآن.

وثانيهما: هو سلام المسيح الشخصى كقوله: " سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ" (يو١٤: ٢٧).. إنه سلامه الإنسانى الذى تمتع به كابن الإنسان – أى الإنسان الكامل – فى ملحمة حياته على الأرض.. وبصفة خاصة فى مواجهة نهاية حياته الدامية.

يقول الحكيم " أَعْطُوا مُسْكِراً لِهَالِكٍ " (أم٣١: ٦).. والهالك هنا هو المحكوم عليه بالموت.. لماذا؟.. حتى " يَشْرَبُ وَيَنْسَى ".. إن " محنة **التعرض للإعدام** " – هكذا يسميها العارفون، ويقصدون بها الرعب القاتل، وغيره من المشاعر التى تعتمل فى كيان " الهالك " , خلال الوقت العصيب بين صدور

الحكم النهائى وبين تنفيذه - تسحب السلام من أعتى القلوب.. وترعب أشجع الأبطال.. وتُدخل صاحبها فى عالم آخر.. له رؤى ومقاييس مختلفة.

أما وقد تعرض المسيح لهذه المحنة .. وقدموا له هذا المسكر.. وكان " خَلاًّ مَمْزُوجاً بِمَرَارَةٍ " (مت ٢٧ : ٣٤).. فقد رفضه.. وبدلاً منه يقول بالنبوة : " الرَّبُّ نُورِي وَخَلاَصِي **مِمَّنْ أَخَافُ**؟ الرَّبُّ حِصْنُ حَيَاتِي **مِمَّنْ أَرْتَعِبُ**؟ عِنْدَ مَا اقْتَرَبَ إِلَيَّ الأَشْرَارُ لِيَأْكُلُوا لَحْمِي (ويا لبشاعة الوسيلة: الإعدام أكلاً)، مُضَايِقِيَّ وَأَعْدَائِي عَثَرُوا وَسَقَطُوا " (مز٢٧: ١- ٢) - وقد تم هذا حرفياً مع ممسكيه (يو١٨: ٦) - لكنهم قاموا بعد ذلك و" قَبَضُوا عَلَى يَسُوعَ وَأَوْثَقُوهُ" (يو١٨: ١٢).. لذلك يستطرد : "إِنْ نَزَلَ عَلَيَّ جَيْشٌ **لاَ يَخَافُ قَلْبِي**. إِنْ قَامَتْ عَلَيَّ حَرْبٌ فَفِي ذَلِكَ **أَنَا مُطْمَئِنٌّ** " (مز٢٧: ٣).

لقد دنت إليه الوحوش الضارية لتأكل لحمه .. فأين للسلام أن يجد طريقه فى مواجهة من قال عنهم: " أَحَاطَتْ بِي ثِيرَانٌ كَثِيرَةٌ.... أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ.... فَغَرُوا عَلَيَّ أَفْوَاهَهُمْ كَأَسَدٍ مُفْتَرِسٍ مُزَمْجِرٍ" (مز٢٢: ١٢- ١٦)؟.. أسد .. طبيعته الافتراس.. وفى حالة الزمجرة .. وفاغرٌ فاه.. أى على أهبة الانقضاض .. ماذا بقى بعد؟.. ليس إلا تمزيق ضلوع فريسته بين أنيابه.. ومن يعتبر استخدام هذه التشبيهات فى الكتاب هو من قبيل المبالغة ، هل يظن أن مخالب الأسد أشد من مخالب السياط الرصاصية.. أو العظمية في أحسن الأحوال.. تلك التى حرثت ظهر سيدنا فى أتلام طويلة (مز١٢٩: ٣) ؟ .. أم يظن أن أنياب الأسد - وقطاعها العرضى على هيئة منحنى بيضاوى - أحدُّ من مسامير الرومان - وقطاعها العرضى على هيئة مربع، أو مثلث حاد الزوايا - تلك التى غاصت ثاقبة يديه ورجليه؟.. أم يظن أن قلب الأسد - الذى لا يفترس إلا وهو جائع - أقسى من قلب من قال عنهم: " جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ" (مز٢٢: ١٦) .. دون أن يكونوا جياعاً , إلا إلى القتل .. وعطاشاً , إلا إلى سفك الدم (رو٣: ١٥)؟

لكن لسان حاله - له المجد - فى مواجهة هذا كله كان: " **لاَ**

يَخَــافُ قَلْبِي".. حالة رائعة من عدم الخوف.. لكنها **سلبية** .. لذلك فإنه يعقبها بما هو أروع.. بالحالة **الإيجابية** ؛ " **فَفِي ذَلِكَ أَنَا مُطْمَئِنٌ** " .. " لأَنَّكَ أَنْــتَ يَــا رَبُّ مُنْفَرِداً **فِي طُمَأْنِينَةٍ** تُسَكِّنُنِي " (مز ٤ : ٨) .. فيا للسلام!!

لذلك قال لممسكيه بكل شجاعة: " **أَنَا هُوَ** " (يو ١٨ : ٥).. " فَإِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي فَدَعُوا هَؤُلاَءِ يَذْهَبُونَ " (يو ١٨ : ٨).

سلام عجيب أيها السيد.. وإن لم يكن غريباً عليك .. لكن **الأعجـب** أن تعطينـا هذا السلام منحة وهبة داخل قلوبنا.. بقولك " **سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ** " (يو١٤: ٢٧).

لقد أعطانا أن تكون لنا ثقة فى أبينا السماوى (عب ١٣ : ٦).. ترتد إلـى قلوبنا سكينة.. وسلاماً , هو نفس سلامه.. يملأ قلوبنا أمام أعظم المحن وأرهب التحديات.. فيا للهبة!!

ولأن سلامه هذا سلام إنسانى.. فإنه يأتى فى تمام التوافق مـع كياننـا الإنساني.

فإن كان لكل مصباح أو جهاز، جهد كهربائى يقوى على تحمله.. فيقال مصباح, أو ثلاجة, جهد كذا " فولت " .. كذلك فإن كياننا لا يتحمل من الـسلام إلا الجهد الإنسانى .. **لا أكثر**.. وهذا هو **سـلام المـسيح الشخـصى**، كـابن الإنسان.. أُعطى لنا، ليسرى فى قلوبنا مسرى وانياً.. يمتص قلقها واضطرابها ورهبتها؛ " لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلاَ تَرْهَبْ" (يو١٤: ٢٧).. ويمدها بالطمأنينـة والهدوء (مز٤: ٨).. فى حدود القدرة الإنسانية على الاستيعاب.

أما " سلام الله " – وهو ثالث المدلولات – فهو " يفوق كل عقـل ".. وحاشا أن يكون مرتبطاً بحدود إمكانياتنا.. أو بأية حدود أخرى.. إنــه سـلام **الله**.. الله نفسه.. ولا يقدر كياننا الإنسانى أن يتحمله **سارياً فينا**.. كما لا تقـدر عقولنا البشرية أن تسبر غوره **سابحة فيه** .. إذ هو " **يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ** " .. إنــه دائرة الصفاء والهدوء التى تكتنف عرش الله .. لا تشوبها شائبة .. ولا يكدرها مكدر.

ما الذى رآه الرسول يوحنا قدام العرش ؟.. " **بَحْرُ زُجَاجٍ شِبْهُ الْبَلُّورِ"** (رؤ٤: ٦).. وهذا يرمز، من أحد الزوايا ، إلى **الهدوء**.. فالبحر زجاجى - أى أملس المستوى - لا أثر فيه لأمواج أو قلاقل أو اضطرابات .. ومن زاوية أخرى ، إلى **النقاء** .. فهو بلّورى - أى شفاف - لا أثر فيه لكدر أو تعكير.. لماذا ؟

لأنه مرتبط بالعرش , وبالجالس عليه , الكائن في سلام يفوق كل عقل .. لكننا نقرأ عن البحر المضطرب الذى لا يستطيع أن يهدأ, بل " تَقْذِفُ مِيَاهُهُ حَمْأَةً وَطِيناً " (أش٥٧: ٢٠) .. ممثِّلاً لحالة عدم السلام التى للأشرار (أش٥٧ : ٢١).

لقد تعكر صفو هذا العالم عندما انفجر مفاعل " تشرنوبيل " النووى.. واهتزت أكبر الرؤوس العلمية والسياسية.. مع أنها حادثة تافهة إذا قيست بالكوارث الكونية مثلاً[١٦].

فإن تخيلنا أن هذا العالم صدمه نيزك، أو نجم ، فاختل فى لحظة.. أو هذا الكون تمدد فى الفضاء وانفرطت حباته.. أو.. أو.. من الكوارث الكونية التى تفوق إمكانيات أكبر الدول.. وعقول أكبر العلماء.. هل يهتز الله؟.. أو يتحرك له ساكن؟.. أم لعله يفاجأ بما حدث؟.. لا شئ يهزه, أو يفاجئه.. فهو يعلم المُستقبلات ويخبر بالآتيات (أش٤١: ٢٢، ٢٣).. " مُخْبِرٌ مُنْذُ الْبَدْءِ بِالأَخِيرِ وَمُنْذُ الْقَدِيمِ بِمَا لَمْ يُفْعَلْ " (إش٤٦: ١٠).. أم يَجمد قلبه - من المفاجأة - كيعقوب فى يومه (تك٤٥: ٢٦) ؟ .. حاشا.. فهو الذي يصنع المستقبل.. و" يَفْعَلُ كَمَا يَشَاءُ فِي جُنْدِ السَّمَاءِ وَسُكَّانِ الأَرْضِ " (دا ٤: ٣٥) .. والزمام لم , ولن , يفلت من يده (حتى لو سمح للشيطان مؤقتا بإتيان الأذى والضرر).

إن الشر.. نعم .. حتى الشر نفسه , مهما يفيض.. وأعمال إبليس , مهما تتعاظم.. فإن الله - بكل جلالٍ وهدوء وسكينة - يحولها فى النهاية لخدمة مقاصده الصالحة , وخير محبيه .. لذلك فهو, على العرش , يسكن فى دائرة من السلام المطلق العظيم الذى لا يمكن تخيله .. إنه "سَلاَمُ اللهِ **الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ**".

فإن كان سلام الله أكبر من أن يملأ قلوبنا , أو يسرى فى كياننــــا، فمـــا معنى عبارة ؛ " **وَلْيَمْلِكْ** فِي قُلُوبِكُمْ سَلاَمُ اللهِ الَّذِي إِلَيْهِ دُعِيتُمْ " (كو٣: ١٥) ؟.. إن كلمة "يملك" هنا لا ترد بمعنى يسكن ، بل بمعنى **يحكم ويهيمن Rule**.. أى " **ليتحكم** فى قلوبكم سلام الله " [١٧].

وهذا يأتى بنا إلى السؤال: إن كان المصباح لا يتحمل جهداً أكبر منه.. أو بلغة أخرى, إن كان كياننا لا يتحمل سلام الله , فما هو دور هـــذا الـــسلام معنا؟.. وكيف يتحكم ؟

إنه " **يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ** " .. متحكماً فيها.. ومسيطراً عليها .. حتى تظل " **فِي الْمَسِــيحِ يَسُــوعَ** ".

يحفظ قلوبكم وأفكاركم

" وَسَلاَمُ اللهِ .... يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (فى٤: ٧).

كيف؟.

نمت بمرور الأيام بين " أميرة " ودجاجاتها أُلفة ومودة .. يتقافزون إليها وقت دخولها " العشة " ، مع شروق الشمس أو غروبها.. يلقطون الحَبَّ أو بقايا الطعام الذى تحمله إليها.. ويتصايحون حولها، عندما تدخل فى غير ذلك الوقت لتقشً النفايات ..متوقعين طعاماً .. وما هو بوقت إطعام.

وتزايدت الأُلفة، حتى أن بعض الدجاجات كانت تقفز لتقف فوق كتف " أميرة ".. و" أميرة " تطلق على كل منها اسماً.. بل تكاد تسمع ردها إن هى نادتها بأسمائها.

وبين الحين الحين يرتفع الصراخ.. ويتصاعد النحيب من إحدى جهات القرية.. ألا ما أكثر الراحلين .. ودون إخطار مسبق .. ويتساءل الكل: من؟

وتنتصب هامات النسوة فوق أسطح الدور, لتبث اسم المرحوم.

ودونما إعلان فى وسائل الإعلام، تجتمع القرية فى غضون ساعة ، أو بعض ساعة.. لإكرام الميت.. ومواراته التراب.

وفجر أحد الأيام ارتفع الصراخ والرجال فى طريقهم إلى الحقول.. والنسوة قد بدأن أعمالهن المعتادة.

توقفت العجلة.. فمن عاد من طريقه .. ومن تركت عجينها إلى سطح الدار .. والكل فى تساؤل: من ؟.. متوقعين أن يكون سهم المنية قد أصاب أحد أبناء القرية.

* * * * * *

❑ " مين يا أم فتحى " ؟

✪ " بيقولوا أميرة هى اللى بتصرخ ".

❑ " يبقي أبو أميرة .. يا نضرى "

✪ " يا شيخة فال الله ولا فالك.. ده لسه كان فايت إلوقتي "

❑ " أمَّال إيه الحكاية " ؟

✪ الله أعلم.

وبعد فترة:

✪ " دريتى " ؟

❑ يا ستار؟

✪ " أميرة ".

❑ اسم الله عليها؟

✪ " الفرخات بتوعها ".

❑ بعيد الشر؟

✪ نط عليهم " أبو الحصين " بالليل وكسر " العشة ".

❑ والفراخ؟

✪ " اللى خده , خده .. واللي اتبعزق , اتبعزق ".

❑ " يا حول الله ".

تقاطرت النسوة على منزل " أميرة " للمواساة.. وتقدير الخسائر.. والمساهمة في التعويض.. تطبيقاً لقانون التأمينات التاريخى عند المصريين؛ " من قدَّم السبت وجد الأحد " .. فالكل معرضون .. إنه تكافل اجتماعى فطرى.. قبلما شرع أو قانون.

إلا أن المشكلة لدى " أميرة " لم تكن مشكلة **اقتصادية** فقط، تؤرق **فكرها**.. بل كانت قبل ذلك أيضاً مشكلة **عاطفية** ، أدمت **قلبها** .. نظراً لتعلقها بدجاجاتها.

هى الدنيا يا " أميرة ".. فعجباً لك!!.. أما زلت تتعلقين بدجاجاتك بعدما جرى؟.. ألا تريدين - " بيدك لا بيد عمرو " - أن تقطعى ما بينك وبينها من ارتباط عاطفى؟.. أم تتركين هذه المهمة للحياة فتخرجك قسراً من عالمك الوردى؟.. أم لعل الحياة تشفق على صباك.. فتديم لك هذا الترف العاطفى.. وترسل " القرندل " ، يقتل لك " السمندل ".. ويخلص رعيتك من " أبي الحصين".. ويثبتك لك الإمارة.. أيتها الأميرة على عرش الدجاج ؟

وهى الدنيا نفسها بالنسبة لنا أيها العزيز.. نريدها خلواً من الثعالب.. وليتها في لؤم ثعلب " أميرة " .. أو في سرعة انقضاض " السمندل " , وكثرة أيامه (أي٢٩: ١٨) .. بل هو الثعلب الكبير؛ إبليس العدو القديم, منذ أيام كثيرة (رؤ ٢٠ : ٢) ، ينقض بالتجارب - بعد استسماح الله (أى١: ١٢) - على حصون **عواطفنا**، و**أفكارنا** .. والتى نظنها حصوناً منيعة.

فعواطفنا نمتلكها - بداية - ونوجهها حيث شئنا .. نحب ما نريد .. ونتعلق بمن نريد.. ونبتعد عما لا نريد.. وكذلك **أفكارنا** هى رهن إرادتنا نعزم على ما نعزم.. ونقرر ما نقرر.. ويتكون لدينا رأي فيما نشاهده , أو يقابلنا .. ونصل بذلك إلى الاستقرار **العاطفى والعقلى** .. ويدوم استقرارنا.. عظيم !

إلا أننا نحتفظ باستقرارنا العاطفي والعقلي داخل **صومعتنا الإنسانية**، غافلين عن كونها صومعة هزيلة.. متوهمين أن قلوبنا وأفكارنا داخل هذه الصومعة، تكون بمنأى عن أى تدخل خارجى.. فنظن - مثل " أميرة " - أن الحياة سترسل لنا " القرندل " - فى ثقافتنا العربية - يصدُّ عنا " السمندل " .. أو تبعث لنا " إيزيس" - في التاريخ الفرعوني - تخلصنا من " سِتّ " .. أو تدفع إلينا بـــ " سانتا كلوز" - فى الثقافة الغربية - يجلب لنا السؤدد.. فتصبح طرقنا وردية أينما سرنا .. وتظلّ **قلوبنا وأفكارنا** في استقرار داخل هذه الصومعة, ومستريحة وهانئة.. كما أردنا لها أن تكون.. أو كما توهمنا أن ذلك ممكن.. دون أن تمتد إليها يدٌ.. للأحداث , أو غير الأحداث.

أيمكن أن يحدث هذا أو يستمر ، و" السمندل " , أو " الحية القديمة "

(رؤ٢٠: ٢) بلغة الكتاب , لا ينفك يخطط بمكايده (أف٦: ١٠) ضدنا.. و" ست " قاتل " أوزوريس " , أو " الشرير " بلغة الكتاب (يو١٧: ٥) ؛ قتال الناس (يو٨: ٤٤) ، لا يزال محرضاً قايين على قتل هابيل (تك٤: ٨ , ١يو ٣ : ١٢) ، وغير هابيل .. و" أبو الحصين " , أو " التنين " (رؤ١٢: ٣) ؛ " الأسد الزائر " (١بط ٥: ٨) بلغة الكتاب , لا يفتأ يجول حولنا ملتمساً من يبتلعه منا (١بط ٥ : ٨) .. أو فى أحسن الأحوال يجول حول " عشّة " قلوبنا وأفكارنا .. حتى من خلال التجارب, أو قطع الأواصر, أو عموماً من خلال آلام الزمان الحاضر (رو٨:١٨) .. يقتحم " العشة ".. و" يبعزق " الدجاجات.. كى يشتت **العواطف**.. ويحيّر **الأفكار** .. فنفقد استقرارنا **القلبى .. والفكرى**.. وتضيع البوصلة كلها – وليس فقط دجاجات قلوبنا وأفكارنا – من بين أيدينا ؟

* * * * * *

نعود إلى " أميرة " لنجدها تَعْمَد إلى بقايا من خشب الصفصاف تستجلبها من نجار القرية.. مع بعض قطع صفيح قديمة.. وما أشبه.. مع ملاط من الطين.. ترمم بها عشتها المخترَقة.

وإن هى إلا ليلات معدودات حتى يتكرر الفعل .. صراخ فى الفجر.. وخبر فى الصباح .. عن اقتحام الثعلب لعشة " أميرة ".. أو غير " أميرة " .. " فأبو الحصين " يجد طريقه إلى الدجاج.. لا يمنعه صفصاف.. ولا يعطله صفيح قديم.

وباتت القرية فى هم جسيم.

إلى أن ظهر " المعلم سالم " المقاول .. ليقدم الحل لمن يريد.. بأن تلغى " العشش " القديمة.. بهدم أو غير هدم.. لتحل محلها " عشش " أو – بمعنى أدق – حجرات من الطوب والخرسانة المسلحة.. حتى إن أتى الثعلب، " يخبط راسه فى الحيط ".

كانت " أميرة " أول المستفيدين.. وامتدت يـد " المعلـم سـالم " إلـى دجاجات " أميرة " تحصنها داخل دُشمة خرسانية بناها لها.

وقتها طاب " لأميرة " أن تنام قريرة العين.. فقد باتت دجاجاتها - بفضل " المعلم سالم " - في قرار مكين.. ومجاناً!!.. نعم مجاناً.. فقد كان " المعلم سالم ".. هو حما المستقبل " لأميرة ".. أي أبو خطيبها.. كما أنه أثرى أثرياء القرية .. إمكانياته فائقة.. تفوق كل عقل لدى أي واحد من أبناء القرية.. أو غير القرية.

نعود إلى موضوعنا " وَسَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ " .. ونبدأ بالكلام عما يحدث للقلوب والأفكار خلال التجربة.

إن الضربات تكون موجهة أولاً إلى **القلب**.. فإن اشتدت امتدت إلى **العقل**.

فيصاب المؤمن فى **شعوره وعواطفه** أولاً, نتيجة هجمات عدو بزَّ " أبا الحصين ".. وفاق " السمندل ".. وكل " حية ".. أو " تنين ".. أو "أسد" حرفي .. أو رمزي .. أو أسطوري.

أما إن اشتد القصف فإن الشخص يصاب أيضاً فى **أفكاره**.

كيف؟

مات الولد ودفنته.. ضربة موجهة إلى **القلب** .. أصابت الوجدان والمشاعر.. لكننى بدفنه والاطمئنان عليه إن أبدياً.. أو حتى زمنياً فقط .. فإن الضربة لم توجه إلى العقل.. والإصابة لم تصل إلى الأفكار.. إنها أصابت **العواطف** فقط.. " فالبعد جارح " , كما يقول الشاعر.

أما إن خرج الولد ولم يعد.. فنحن هنا فى مواجهة قصف أشد.. وضرب فى اتجاهين.. واحد موجه إلى القلب.. فإذ بالعواطف ملتاعة.. مضاف إليه ضرب آخر موجه **إلى العقل** .. فإذ بالأفكار شاردة.. والحلول المقترحة

متعددة.. والحيرة آخذه مجراها.. والعجز ضارب أطنابه.. **التاعت العواطـف.. كما وشـردت الأفكار منى.. فأمسـت عواطفى وأفكارى كدجاجات " أميرة "..**

فإذ بـ :

البعـد جـارح

والفكر سـارح

كما يضيف الشاعر.

وأُصبح كمن وصفه شاعر آخر:

مجروح **القلـب** مسهَّده

حيران **الفكـر** مشرَّده

فأبذل قصارى جهدى لأجمع ما تبقى من أشلاء **عواطفى**.. وألملم ما فضل من شتات **فكرى**.. فهل يا ترى أتمكن من جمع كل الـدجاجات؟.. وبعـد التسليم بالخسائر، وجمع ما يمكن جمعه .. أين أضعه ؟.. هل فـى " العـشة " القديمة – " عشة " كياني الإنساني – بعد تقويتها؟.. أم أنها لا تصلح؟

إنها لا تصلح بأى وضع.. ولا يجدى معها بناؤون.. أو نجـارون.. أو حراس (مز ١٢٧: ١) .. ولا تنفع حيالها أية وسائل يلجأ إليهـا النـاس.. إنهـا أضعف من كل شيء.. **إنها تراب.**

إن الأمر يحتاج إلى من يجمع لى دجاجات قلبى وفكرى جميعها، **أولاً..** ثم يضعها ، **بعد ذلك** ، فى " عشة " جديدة خلاف الأولى.. كالعـشة المـسلحة، التى يقود المعلم " سالم " دجاجات " أميرة " إليها.. فمن ينبرى لهذا يا ترى ؟

إنه " **سَـلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُـوقُ كُلَّ عَـقْـلٍ** ".

إن " أميرة " لا تقدر أن تجمع كل دجاجاتها الشاردة .. وليس هناك من يستطيع أن يجمعها لها.. إنـساناً كـان أم اختراعـاً إلكترونيـاً .. أيـستطيع الكمبيوتر ، مثلاً ، أن يحدد أماكن دجاجات ضلت طريقها .. حتى يتم جمعهـا بعد ذلك؟.. أم أن هناك دجاجاً يغذى الحاسب الآلى ببرنامج سيره.. فتظهر هذه

الأماكن على شاشة الجهاز فى لحظة ما.. عند الضغط على أحد الأزرار؟

لكن إن كان **العقل** البشرى - أو الإلكترونى - لا يستطيع أن يقوم بهذه المهمة " لأميرة " ، فإن سلام الله يستطيع ذلك بالنسبة لى.. لماذا؟.. لأنه " **يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ** ".. بشري أو إلكتروني .. إنه يقدر أن يجمع **عواطفى وأفكارى**؟.. **خلجاتى وشواردى** جميعها إن هى شتتت.. أو بالحرى **يحفظها** - كنص العبارة - فلا تشرد أو تشت.. لكن أين يحفظها .. هل فى كيانى الإنسانى الضعيف.. ولو بعد تقويته.. إن بدنياً..أو نفسياً.. أو حتى بواسطة ممارسات ورياضات روحية؟.. كلا.. بل في " **المسيح يسوع** ".

فإن كانت " عشة أميرة " الأصلية لا تصمد إطلاقاً أمام " أبى الحصين " .. إذ يعرف جميع نقاط ضعفها ، مهما عولجت بالعلاجات.. أو دُعمت بالدعائم.. فكلها صفصاف وصفيح.. إلا أن هناك ما هو أفضل.. ألا وهو الدشمة المسلحة.. وبالنسبة لنا, هل هناك ما - أو من - هو أفضل من المسيح يسوع برجاً منيعا.. وحصناً جديداً خلاف "عشتى" الإنسانية .. يضم **عواطفى وأفكارى**؟.. وأيهما أكثر منعة؛ كيانى الإنسانى، أم المسيح يسوع ؟

ما الذى يفعله سلام الله؟.. إنه " **يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ** " فى هذا الحصن المنيع.. يُحفظ **القلب** فيه .. ويُحصر **الفكر** داخله.. فأُعزل عن المشكلة.. وأُفصل عن " أبى الحصين ".. وأُبعد عن " السمندل ".. وأُقصي عن " سِتّ ".. فلا ينال إبليس دجاجة واحدة من دجاجات **قلبى أو أفكارى , داخليا** .. مهما حدث لي , في المجال الملموس , **خارجياً** .

حقاً " أَدْعُوكَ إِذَا غُشِيَ عَلَى قَلْبِي" .. والنتيجة : " **إِلَى صَخْرَةٍ أَرْفَعَ مِنِّي** تَهْدِينِي" (مز ٦١ : ٢) .. وبين **منكبيك** تسكنني (تث٣٣: ١٢) .. وفي يوم الشر ، في **مظلتك** تخبئني (مز ٢٧: ٥) ، مع **مشاعرى وأفكارى**.

أما إن كان هناك من لا يستسيغ استخدام تشبيهات " كأميرة ".. و" عشتها ".. ودجاجاتها.. والتياعها لفقدها.. وما إلى ذلك.. فمع أن الكتاب استخدم تشبيه " الفراخ المُنفَّرة (أى المشتَّتة) فى معابر أرنون ".. مشيراً إلى بنات موآب (إش ١٦ : ٢) .. إلا أنه لدينا فى الكتاب أيضاً تشبيهات أخرى.

ففى سفر النشيد أصحاح ٨ وعددى ٨ ، ٩ - ودون الاقتراب من المعانى النبوية - نجد أختاً كبرى تصف الصغرى بأنها " صَغِيرَةٌ لَيْسَ لَهَا ثَدْيَانِ"!!.. ما معنى هذا؟.. معناه عدم النضج.. وعدم استقرار العواطف، داخل إطار محدد.

وهنا يقفز السؤال إلى ذهن الكبرى.. " فَمَاذَا نَصْنَعُ لِأُخْتِنَا فِي يَوْمٍ تُخْطَبُ " ؟ .. والإجابة هى : " إن تكن سوراً " مفترَضاً فيه الحماية.. لكنها لصغر سنها، لا يقوم السور بهذه المهمة.. إذ هو غير مكتمل.. لذلك " إِنْ تَكُنْ سُوراً فَنَبْنِي عَلَيْهَا بُرْجَ فِضَّةٍ ".. استكمالاً للتقوية.. والتدعيم.. وتعزيز الحراسة.. و" إن تكن باباً " مفترَضاً فيه صد هجمات العدو.. لكنها لقلة نضجها، لا يؤدى الباب هذه الخدمة .. إذ هو ناقص الألواح.. لذلك "إِنْ تَكُنْ بَاباً **فَنَحْصُرُهَا** بِأَلْوَاحِ أَرْزٍ".. وما الأرز؟.. ليس إلا الحبيب.. "حَبِيبِي .... فَتًى كَالأَرْزِ" (نش٥: ١٠، ١٥).. وماذا تفعل ألواح الأرز للأخت الصغيرة؟.. إنها **تحصرها** من كل جانب.. وتضع **عواطفها وأفكارها** داخل إطار من يرمز إليه الأرز .

هذا الإطار هو المسيح يسوع - " البرج الحصين " (أم ١٨ : ١٠).. يحيط بنا من كل جانب.. فيصد هجمات العدو، من ناحية.. ومن الأخرى، يسيّج حول قلوبنا وأفكارنا.. كسور منيع.. يخفى تأخر نمونا العاطفى.. ويبتلع نقص نضوجنا العقلى.. وبالتالى يعالج عدم استقرارنا العاطفى أو العقلى، إن كان موجوداً من الأصل ، أو جدّ بفعل الظروف.. ويحصرنا فى دائرة محبته (٢كو ٥ : ١٤).. جامعاً شوارد **قلوبنا وأفكارنا** فى ملء كفايته.

يموت الولد إذاً.. أو يخرج بلا عودة.. والأخير أمرٌ فوق احتمال الطبيعة البشرية **قلباً وفكراً**.. لكننا بعدما نحينا الطبيعة البشرية، بإمكانياتها الإنسانية الهزيلة ، جانباً.. باعتبارها " العشة " القديمة.. واستبدلناها - أو بالحرى سلام الله هو الذى استبدلها - بالمسيح يسوع - فيما تمثله الدشمة الجديدة - يصبح المسيح يسوع محيطاً **بالمشاعر والأفكار.. حافظاً للقلب والعقل** .. فإن **رفعت** عينى ، وجدت المسيح يسوع .. وإن **أدرتها** كيفما أدرت - **يميناً وشمالاً** - وجدت المسيح يسوع.. أو **صوّبتها** إلى أكبر المصائب

وأتعسها، فلن أجد إلا المسيح يسوع.. حائلاً بينى وبين كل ما حولى.. **وعــازلاً القلب والفكر** عن كل ما - أو من - سواه!!

ماذا تفعل المهدئات الطبية .. أو بعض العقاقير ؟.. إنها تقيم هذا العازل صناعياً.. حماية للكيان الضعيف من **قــسوة** " الــسمندل " .. **وغــدر** " أبــى الحصين" .. **وإرهاب** "سِــتَّ " .. فتفصله عما يحــيط بــه مــن آلام للزمــان الحاضر (رو٨ : ١٨) .

وتأثير هذه العقاقير إلى **حد** مرصود.. ودوام التأثير إلى **أجل** مــسمى.. أما المســيح يســوع , **فبلا حد.. وبلا أجل**.. المعنى الذى لخصه المــرنم فــى قوله: " جَعَلْتُ (أو كنت أرى) الرَّبَّ **أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ**. لأَنَّهُ عَنْ **يَمِينِــي** فَــلاَ أَتَزَعْزَعُ " (مز١٦: ٨، أع٢: ٢٥).

فهو **أمامى.. وعن يمينى**.. بلا **حدود** مكانية, أو جغرافية.

وفى كل حين.. بلا **آجال** وقتية, أو زمنية.

" لِذَلِكَ **لاَ نَخْشَى** وَلَوْ تَزَحْزَحَتِ الأَرْضُ وَلَوِ انْقَلَبَتِ الْجِبَالُ إِلَــى قَلْــبِ الْبِحَارِ. تَعِجُّ وَتَجِيشُ مِيَاهُهَا. تَتَزَعْزَعُ الْجِبَالُ بِطُمُوِّهَا " (مز٤٦: ٢).. وربمــا تأثّرَت - خارجياً - ظروفى ، أو أموالى، أو صحتى، أو جسدى، ، أو حتــى أولادى، من جراء مثل هذه القلاقل - مثل أيوب - لكــن لا شــأن **لقلبــى أو أفكارى - داخلياً** - بهذا كله.. ليس عن اســتهانة.. أو تبلــد.. أو انفــصام.. أوغيبوبة.. أو ادعاء شكلى بالروحنة والتدين.. بل لأن هذه المصائب أصــبحت خارج أسوار " برجى الحصين " (أم١٨: ١٠).. الذى يحيط بالقلب والأفكــار.. وهو **المســيح يســوع**.. إنى به قد " تَسَوَّرْتُ أَسْوَاراً " (مز١٨: ٢٩).. أبراجه حصينة وفاعلة.. وأسواره منيعة وعازلة .. عكس سور الأخــت الــصغرى.. الذى هو سور الكيان الإنسان الضعيف والقاصر.

ومن يضمن وجودى ويحفظني - **قلباً وفكراً** - فى هــذا الحــصن.. وداخل هذه الأسوار؟.. إنه " **ســلام الله الذى يفــوق كل عقــل** ".

حــقاً إنه شــئ يفــوق كل عقــل !!

الروح يشفع فينا

لأَنَّنا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِه كَمَا يَنْبَغِي. وَلَكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينا بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا " (رو٨: ٢٦).

نصل الآن إلى السؤال المطروح فى البداية.. وهو ماذا **نعمل** عندما نكون أحياناً **عاجزين** – لسبب أو لآخر – عن الصلاة ؟..والسؤال لا يستقيم بهذه الصيغة: ماذا **نعمل** ؟ .. لأنه فعلاً ما الذى فى مقدورنا عمله .. إن كنا عاجزين؟.. لا شئ.. لكن الصيغة الأدق للسؤال هى: ماذا **يحدث** عندما نكون **عاجزين** عن رفع الصلاة .. أو غير قادرين على رفعها كما ينبغى؟

هذا **العجز**.. والذى هو **ضعف** إنسانى.. يتناوله العددين ٢٦، ٢٧ من رسالة رومية أصحاح ٨ .. إذ يرد: " **كَذَلِكَ الرُّوحُ أَيْضاً يُعِينُ ضَعَفَاتِنَا** (الإنسانية ، وليست الزلات أو الخطايا) **لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِه كَمَا يَنْبَغِي. وَلَكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا وَلَكِنَّ الَّذِي يَفْحَصُ الْقُلُوبَ يَعْلَمُ مَا هُوَ اهْتِمَامُ الرُّوحِ لأَنَّهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يَشْفَعُ فِي الْقِدِّيسِينَ** ".

كيف؟

تصدم سيارة مسرعة شخصاً.. وتنقله سيارة الإسعاف إلى المستشفى.. ويأتى المحقق ليأخذ أقواله .. بينما هو عاجز عن النطق.. لسانه ثقيل .. إن حيرة .. أو جهلاً.. أو إصابة فى مركز النطق بالمخ.. أو .. إلخ.. لكنه يسمع.. ويرى.. ويعى ما يدور حوله.. وبعد فتح المحضر، يسأله المحقق عن بيانات السيارة التى صدمته.. لونها.. و" ماركتها ".. وأرقامها.. وكيف ابتدأ الحادث.. وكيف انتهى.. فيصمت المصاب عاجزاً.. وإن قُدِّر له أن يتكلم.. فلن يُؤتى إمكانية التحديد الدقيق.. أو قوة المنطق.. أو براعة الاحتجاج.. بيانات يعجز السليم عن تحديدها, أو سردها فى قالب سلسل، فكم بالمصاب ؟

عندئذ يتم توكيل محام عن هذا المصاب.. فيبتدئ يحتج ويدافع.. والمصاب يستمع.. فإذ بالمحامى البارع يعبر بدقة عما يعرفه هذا المصاب، ويريد أن يقوله.. ويزيد عليه مما لا يعرفه المصاب، أو لا يقدر على النطق به.. وفى نهاية دفاعه يطلب المحامي لموكله **التعويض** عما أصابه من غبن.. **والصفح** عما فعله من خطأ.. والمصاب فى قمة الرضا والراحة لما يسمع.

هكذا تصدمنا الحياة أحياناً بما يفوق السيارات المسرعة وغيرها.. ونلفى أنفسنا كمن حُمل فاقد النطق.. ولا يستطيع أن يحدد الموقف تماماً - حتى لون السيارة , رمزياً - فما بالك بتحديد النسبة بين مسئوليته عما حدث.. وبين ظلمه فيه.. هذا على سبيل المثال.. وما دمنا قد فقدنا تحديد هذه النسبة .. فى أى موضوع .. بين ما أنا مُخَيَّر فيه ، وبين ما أنا مُجْبَر عليه - كمدخل لصلاتنا حتى نطلب المغفرة لما أخطأنا به ، والإنصاف لما ظُلمنا فيه أو أُجبرنا عليه - فكيف نبدأ صلاتنا؟ .. هذا بخلاف أشياء أخرى تعيقنا عن تحديد ما نريد.. كالحزن.. والألم.. والإعياء.. والخوار.. والمرض.. والوهن.. والشيخوخة .. وقلة التركيز .. وضعف الذاكرة.. وصغر النفس.. وانحنائها.. وكثير.. وكثير.. مما يجعلنا: " **لَسْنَا نَعْلَمُ** مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ .... ".. وبالتالى لا نقدر أن نصلى.. إذ أن العلم مدخل للتعبير.. إن فقدته، فقدت القدرة على التعبير.. فمعرفتى ما أريد، تسبق قدرتى على التعبير عما أريد.. لذلك فإن الكتاب لا يقول.. **لسنا نقدر**.. فهذه نتيجة.. بل يصل إلى جذر المشكلة.. وهى " **لَسْنَا نَعْلَمُ** مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ".. لكنه يضيف " **كما ينبغى** ".. أي ؛ "لسنا نعلم.... كما ينبغى".. أى أنه حتى فى حالة علمنا، وبالتالى قدرتنا.. فإنه علم جزئى.. وقدرة ناقصة.. لأننا لسنا نعلم كما ينبغى.. وبالتالى لسنا نقدر كما ينبغى .

فإن كان النقص يشوب صلاتنا فى أحسن حالاتنا علماً أو قدرة.. فكم يكون الأمر فى حالة عدم العلم.. وبالتالي عدم القدرة.. فيا للإفلاس!

ألا من وكيل يخوض عنى غمار هذا المضمار؟

بلى.

أين هو؟

يسكن فيَّ.

عجيب!! .. من يكون ؟!

إنه **الروح القدس..** يتولى بدلاً منى هذه المهمة.. مترافعاً عنى.. شافعاً فيَّ.. معبراً ببلاغة.. عما **أعلمه..** وعما **لا أعلمه كما ينبغى..** وعما **لا أعلمه إطلاقاً.**

وكيف يشفع؟.. بأنَّات لا ينطق بها.

أيُّ أنَّات هذه؟ .. إنها أناتى أنا ، وليست أنَّات الروح القدس.. وهى تختلف عن الأنات التى تئن بها الخليقة (رو ٨: ٢٢) .. أو التى نئن بها .. " نَحْنُ .... أيضاً.... فِي أَنْفُسِنَا مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ" (رو٨: ٢٣).. إنها أناتى فى حضرته.. حال كونى منسكباً أمامه.. وقد عبر عنها المرنم قائلاً: " أَذْكُرُ اللهَ **فَأَئِنُّ** " (مز٣٧: ٣).. إنه أنين التوسل.. وسكب القلب.. مع قلة الحجة.. وإمساك اللسان.

وحتى هذه الأنات هى بعمل الروح القدس فينا (شأن عمله فينا فى الصلاة عموماً).. يدفعنا إلى إخراجها كأنات.. ليترجمها هو كصلاة صحيحة.. وبحسب مشيئة الله.. إنها كإشارات " موريس " التلغرافية قديماً.. أو كالشفرات اللاسلكية , يرسلها جهاز إرسال على موجة معينة .. لتُستقبل فى جهاز استقبال على نفس الموجة.. ثم تترجم إلى معانٍ وكلمات .. (ناهينا عن أجهزة الاتصال الحديثة).

وتسافر هذه الأنات مثل النبضات السلكية , أو الإشارات اللاسلكية، فى الفضاء الخارجى.. ولأنها أنَّات فهى هزيلة كمعنى اسمها.. لاسيما وأنها أناتى أنا.. وفى حالات عجزى.

وكان لهذه الأنات أن تضل طريقها فى الفضاء الفسيح .. أو تضيع فى الكون السحيق .. أو تندثر بين المجرات .. أو يبتلعها ثقب أسود , كما يبتلع

كافة الأجسام , والموجات , حتى الضوئية.. لولا أن مقدمها هو الروح القدس .. ومستقبلها هو الله , الذى لا تخفى عليه خافية.

وكلامنا ليس عن صلاة تسمعها أذن الله.. فهذه مكتوب عنها : " الْغَارِسُ الأُذُنَ أَلاَ يَسْمَعُ؟ " (مز ٩٤ : ٩) .. والإجابة : بلى إنه يسمع .. لأن " عَيْنَا الرَّبِّ نَحْوَ الصِّدِّيقِينَ وَأُذُنَاهُ إِلَى صُرَاخِهِمْ " (مز٣٤: ١٥).. لكننا هنا أمام حالة عجز عن التعبير، وعن رفع للصلاة .. أو عجز عن رفعها كما ينبغي .. وبالتالي فلا إمكانية لأحد أن يسمعها .. أو لا إمكانية لأحد أن يسمعها كما ينبغي.

لكن الله يفحص القلوب .. نعم يفحص القلوب .. دون احتياج منه إلى كلمات منطوقة.

إن أجهزة التنصُّت الحديثة ، تخترق الآن أى مكان فى العالم .. حتى أن النبضات السلكية فى خطوط التليفونات فى الصين، تلتقطها منذ فترة طويلة، أجهزة رصد فى أمريكا.. فيما يعرف بمشروع الأذن الكبرى .. لكن هذه الأجهزة مهما عظمت، لم ولن تخترق القلوب.. وإن كان بمقدورها أن تترجم أى شفرة سرية، لكنها لم ولن تترجم شفرات القلوب؛ أى هذه الأنات.

" وَلَكِنَّ الَّذِي يَفْحَصُ الْقُلُوبَ ".. ويا للإمكانية .. " **يَفْحَصُ الْقُلُوبَ** "!!.. إنه يتنصَّت عليها إن جاز التعبير.. " لأَنَّ عَيْنَيِ الرَّبِّ **تَجُولاَنِ** فِي **كُلِّ** الأَرْضِ لِيَتَشَدَّدَ مَعَ الَّذِينَ **قُلُوبُهُمْ** كَامِلَةٌ نَحْوَهُ " (٢أى١٦: ٩).. و" **يارب أَمَامَكَ كُلُّ تَأَوُّهِي وَتَنَهُّدِي لَيْسَ بِمَسْتُورٍ عَنْكَ** " (مز٣٨: ٩).. تأوهي وليس دعائي فقط.. تنهدي وليس صلاتي فقط.

إنه يتنصَّت على هذه الأنات الهزيلة , ويلتقطها .. لاسيما وأن موجة إرسال الروح القدس لها – إن جاز التعبير – هي نفس موجة استقبال الله .. فتُقبل أنَّاتي **شكلاً**.

كما وأن الرسالة المرفوعة من الروح القدس , من خلال أناتي أنا , هي مقبولة **موضوعاً** .. لماذا ؟.. لأن إرسال الروح القدس هو لما كان - **فقط** - مطابقاً لمشيئة الله .. " لأَنَّهُ **بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ** يَشْفَعُ فِي الْقِدِّيسِينَ " (رو٨: ٢٧).. وبالتالي تقبل الرسالة **موضوعاً** .

وماذا بعد ؟ .. الله " الَّذِي يَفْحَصُ الْقُلُوبَ **يَعْلَمُ** " .. ألا تذكرنا كلمة **يعلم** هنا بعبارة : " **تُعْلَمْ** طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ " .. لقد وصلنا الآن إلى **المطلوب**.. رغماً عن عجزى عن الصلاة.. لقد التقط الله الأنات.. واطّلع على " العرضحال ".. وأشَّر **بالعلم**.. دون أن **أصلى**.. أو حتى **أنطق**!!.. أليست " أنات **لا ينطق** بها " ؟

ماذا يعلم ؟ .. " يَعْلَمُ مَا هُوَ **اهْتِمَامُ الرُّوحِ** " .. ما معنى هذا ؟ .. معناه أن الروح هو الذى **يهتم** .. عجيب!!

- **أنا لا أعلم** .. أو **لا أعلم كما ينبغى** .. ولكن الله **يعلم**.

أنا لا أهتم .. إذ " لا تهتموا بشئ ".. ولكن **الروح يهتم**.

أنا لا أقدر أن أُعبِّر.. **لكن الروح يشفع** .

أنا أخرج عن دائرة المشيئة - أحياناً- فى صلاتى.. لكن **الروح القدس, بحسب مشيئة الله**, يشفع فى القديسين .. فيا للكفاية!!

والروح القدس هنا لا يحتاج مثلى إلى خدمة المسيح الكهنوتية الخاصة بتنقية القربان .. أحتاجها أنا.. أما الروح فلا .. لأنه بالإضافة لكونه أقنوماً إلهياً، وبالتالي لا يحتاج إلى هذه الخدمة - شكلاً - فلكونه أقنوماً أيضاً، فإنه - كما سبق ذكره - " **بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ** يَشْفَعُ فِي الْقِدِّيسِينَ " - موضوعاً - فلا شوائب مما هو خارج المشيئة، يحتاج إلى الغربلة.. أو التنقية.. أو الاستبعاد , من هذه الأنات .

وهكذا نرى أنه **ربما** كان الوضع بالنسبة للصلاة - من هذه الناحية .. ناحية مطابقتها لمشيئة الله - عندما لا أكون قادراً على رفعها (الصلاة) ,

أفضل من الوضع عندما أكون قادراً على رفعها.. لأن قدرتى ربما دفعت إلـى السطح طلبات ليست بحسب مشيئة الله.

وهـذا يـأتي بنـا إلـى نتيجـة هامـة وهـى؛ أن المـساحة من الإمكانيات التى ينحسر عنها احتلال الإنسان - عجزاً أو لأى سـبب - فإن هذه المسـاحة تضـاف إلى حـسـاب الله .. يتخـذ منهـا - بإمكانيـاته الفائقـة - مجـالاً لإظهـار كفايتـه.

ويظل هناك تساؤل منطقي ؛ وما هو دورى إذاً ؟

أن **أتقدم إلى عرش النعمة** .. بأى وضع كنت عليه.. متحيراً .. عاجزاً عن المعرفة.. أو التحليل.. أو التعبير.. أو حتى عن الصلاة نفسها.. محطمـاً.. أو حتى حطاماً .. ليكن.. لا غبار .. **ولأصلِّ**، إن كنـت قـادراً.. أو **فلأركـع وأصمت** فى حضرته، إن كنت غير قادر، وأترك الأمر:-

أولاً: لوكيلى - أى الروح القدس - الذى من فرط عجزى لم أوكله أنا.. بل وكلته لى جهات أعلى.. وكَّله الله.. أو وكَّل نفسه.. لا تفـرق.. ليقـوم بهذه المهمة نيابة عنى.. على أكمل وجه.

وثانياً: لسلام الله الذى يفوق كل عقل، ليحفظ قلبى وأفكاري فى المسيح يسوع.

إن كثيرين يصلون.. وينتظرون أن تحدث المعجزة.. ويـأتى " القرنـدل " يقتل لهـم ثعـالبهم.. أو حتـى ثعالـب الكـون كلـه.. ويـريحهم مـن عـبء الجهاد فى الصلاة (رو١٥: ٣٠).. أو من صبر انتظـارهم الـرب (مـز٦٢:٥ , هو١٢:٦) .. واختبار نعمته.. فتنتهى مشاكلهم فور - أو قبل - حدوثها.. وتظـل دجاجاتهم تبيت فى عشتها الأصلية القديمة .. دون ثعالب أو خلافه .. وربما غاب عنهم أمر " العشة " الخرسانية الجديدة.. " فالقرندل " هو المطلوب من منظـورهم،

لحماية " عشتهم " القديمة.. بينما " العشة" الجديدة.. أو " البـرج الحـصين " ؛ أى " **المسيح يسوع** " هو المطلوب ، والبديل المقدم لهم من جانب الله .. **يطلبون** المعجزة الخارقة , التي تنهي التجربة .. بينما **كفاية المسيح - واختبارها** , إن استمرت التجربة - **هي معجزة المعجزات.**

فمحبة الحبيب, والتمتع بكفايتها , هى خارقة الخوارق عند شاعر مثل " **نزار قباني** " عندما كتب:

حبك خارقتى ما عادت

خارقة فى العالم تعنيني

لقد وصل هذا الشاعر إلى ما لم يصل إليه أولئك الساعون نحو الخوارق.. لا نحو اختبار كفاية النعمة سواء حدثت المعجزة, أم لم تحدث[١٨].

ومثله " الحلاج " , وهو من أقطاب الصوفية , كان لسان حاله :

لا أطلب من ربي

أن يصنع **معجزة**

بل يعطيني **جلَدًا**

أما نحن فيمضى بنا جهادنا فى الصلاة (كو٤: ١٢).. بأى **علم** احتواه إدراكنا .. وبأى **قدرة** توافرت لدينا.. بمعونة (أو بشفاعة) الروح القدس.. وصولاً إلى الغلبة.. وفوزاً بلقب الإمارة.. ليصير كل منا أميراً, مستوياً على العرش.. لا لجماعة من الناس.. ولا لدجاجات حرفية " كأميرة ".. ولا لقطعان وممتلكات كيعقوب (تك ٣٢ : ١٠).. بل لدجاجات **قلبه وفكره** .. لأن " **مَالِكُ رُوحِهِ** خَيْرٌ مِمَّنْ يَأْخُذُ مَدِينَةً " (أم ١٦: ٣٢).

إن " يعقوب " ومعنى اسمه " المتعقِّب " (تك٢٥: ٢٦)، يتحول بعد جهاده مع الله إلى " **أمير لله** "[١٩] .. أى من أمراء الله.. فلا تعقُّب للبشر.. ولا احتيال لأخذ قطعان , أو غير قطعان , كما فعل سابقاً (تك٣٠: ٣٧- ٤٣) .. ولا مطاردة لدجاج , أو غير دجاج .. بل نصبُه ، في النهاية ، جهاده مع الله

(تك٣٢: ٢٨) أميراً على خوالج نفسه .. ووليأ على شغاف روحه .. وإن كـــان ذلك في أواخر أيامه (عب١١: ٢١).

هكذا أيها العزيز .. عن طريق انسكابنا في حضرته - بأي وضع كنا عليه - يصير كل منا **أميراً متربعاً على عرش الإمارة .. إمارة روحـــه..** لا يطارد فلول شوارده.. أو خواطره.. ولا يتعقب دجاجاته .. هنا أو هناك.. بـــل تبيت دجاجات قلبه وأفكاره كلها مستريحة, فى هدوء مقـــيم .. " **فـــى المســـيح يســـوع** ".. مستمداً شرعية ولايته لا من دستور وضعي .. أو جهة تشريعية .. أو سلطة تنفيذية .. بل من جهات عظمي .. وبدعم كوني خارجى .. من سلام **الله نفسه الذى يفوق كل عقل.. إنه يمكّنه مـــن الإمـــارة , تمكينـــاً مـــشمولاً بالنفاذ.. ويحفظ له رعيته من المشاعر والأفكـــار فـــى ســـلام مكـــين " فـــى المســـيح يســـوع** " .. فيا للتمكين؟

وَإِلَهُ كُلِّ نِعْمَةٍ الَّذِي دَعَانَا إِلَى مَجْدِهِ الأَبَدِيِّ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.... هُوَ.... يُمَكِّنُـــكُمْ. لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ. (١بط٥ : ١٠ ، ١١).

فأى شكر تستحقه أيها السيد المعبود من الآن وإلى الأبد.

* * * * * *

شـــــذرات

مختارة من : Our daily bread , بتصرف

ترجـــمـــة : **نجــاتي أبادير**

- الصلاة ؛ هي خط تليفون مفتوح إلى السماء.
- أبدا , لن تسمع رنين " مشغول " في هذا الخط .
- لا يضع الله جهاز رد على المكالمات Answer machine .. بل يتلقــي - شخصياً - كل مكالمة.
- الصلاة ؛ هي دليل الصلة , وحديث المودة بيننا وبين الله.
- الصلاة , يجب أن تكون أول - وليس آخر - ما نلجأ إليه.
- الصلاة , لا تحتاج إلى قدرة بلاغية .. إنما إلى رغبة قلبية.
- الله , يدعونا أن نلقي على كاهله , كل ما هو على كاهلنا.
- الصلاة اليومية ؛ هي أفضل علاج لاهتماماتنا اليومية.
- الدعاء ؛ هو صرخة طفل مستغيث إلى أذن الآب المصغية.
- عن طريق الصلاة , يسحب الإنسان المحدود من قدرة الله غير المحدودة.
- حينما تطرحك الحياة بتجاربها على ركبتيك , فقد أتاحت لك الوضع الأمثــل للصلاة.
- إن لم تحملك قدماك , فلديك ركبتاك.
- الإيمان ؛ هو المفتاح الأول لاستجابة الصلاة.

- تأخر الله في استجابة طلباتنا , ليس معناه رفضها .. فاستمر في الـصـلاة .. (إن قادك الروح إلي الاستمرار).
- إجابات الله لطلباتنا ؛ أحكم من هذه الطلبات.
- قد لا يلبي الله بعض طلباتنا , لكنه لا يخذل مطلقاً ثقتنا.
- إن لم تكن بالضرورة نتيجة صلواتنا هي حصولنا على ما نريد , فليس أقـل من تجعلنا نصبح كما يريده الله لنا , ومنا.
- الله يستمع إلى أكثر مما تقوله , إنه ينصت إلى أنّات قلبك.
- الدموع في العين ؛ هي عدسة لاصقة تمكننا من رؤية أفضل للسماء.
- إن لم يكن لديك اليوم وقت للصلاة , فبأسرع مما تظن لن يكون لديك وقـت على الإطلاق.

* * * * * *

من أقوالهم

عن مركز **ضعف** المصلي .. وانتظار استجابة الله له .. ولكن بحسب أمر الله **(مشيئته)** .. يكتب " **الشيخ شمس الدين الفاسي** " ..

يارب ياسند **الضعاف** أتيت في — **ضعف** المحب وفي شرود الحائـر

أنت الكريم فما لعفوك ممسك — **والأمر** أمرك في عطـاء غامـر

أنا ليس لي حـق عليك وإنما — أمل **الضـعيف** ينال عفـو القادر

ملاحق

ملحق ١: بالوقوع في الخطأ تنقطع الشركة مع الرب.. لأني " إِنْ رَاعَيْتُ إِثْماً فِي قَلْبِي لاَ يَسْتَمِعُ لِيَ الرَّبُّ " (مز ٦٦: ١٨) .. كنتيجة لانقطاع الشركة .. لا كشرط لاستجابة الصلاة .. فليست هناك شروط للاستجابة, كما سيأتي ذكره.

ملحق ٢: رجاء الرجوع للعدد الرابع عشر من هذه السلسلة, بعنوان: " **لنا شفيع** ".

ملحق ٣: رجاء الرجوع للعدد الثامن, بعنوان: " **كاهن عظيم** ".

ملحق ٤: استفضل = أعيش في وفرة.

ملحق ٥: وهكذا نرى أن المقصود بالإيمان هنا, ليس ثقتي بأن **كل** أطلبه من الله, بدون استثناء, سوف أناله .. إن وجد هذا الإيمان نلت **كل** ما طلبت.. وإن لم أنلْ, دلَّ هذا على عدم وجود الإيمان.. كلاّ.

ملحق ٦: معذرة لتكرار هذا الحوار الخيالي على باب الفردوس مرة أخرى في هذه السلسلة وذلك لزوم السياق .. وأيضاً لفائدة من لم يطَّلع على الأعداد السابقة.

ملحق ٧: كما سيأتي ذكره , بمشيئة الرب , في عدد قادم, بعنوان " **أمسكت بيدي اليمني** ".

ملحق ٨: هذه واحدة من خدمات الرب يسوع لنا – كرئيس الكهنة العظيم –

تناولنا ثلاث منها في العدد الثامن .. وهذه هي الرابعة .. ويتبقي ثلاث خدمات أخرى .. إن أعاننا الرب سنتناولها في عدد قادم بمشيئة الرب.

ملحق ٩: الشاقل ؛ هو وحدة وزن في العهد القديم , تساوي ١٥،٠٠ جرام .. و " شاقل القدس " (عد٣: ٤٧) , هو شاقل عياري ؛ أي قياسي .. كأي وزنة عيارية , تقاس وتُعَايَر عليها باقي مثيلاتها من الوزنات.

ملحق ١٠: مع عزمي على التسامح , تكون الفرصة أحيانا متاحة لي للتعبير بمحبة ووداعة عن حقوقي .. كما حدث مع سيدنا له المجد عندما لطمه عبد رئيس الكهنة, فأجابه : " .... إِنْ كُنْتُ قَدْ تَكَلَّمْتُ رَدِيّاً فَاشْهَدْ عَلَى الرَّدِيِّ وَإِنْ حَسَناً فَلِمَاذَا تَضْرِبُنِي؟ " (يو١٨: ٢٣) .. فإن كان ذلك بإمكاننا فلا مانع .. وإن لم يكن فلأصبر .. وفي هذا يكتب الرسول: " دُعِيتَ وَأَنْتَ عَبْدٌ فَلاَ يَهُمَّكَ (أى تحمّل العبودية). بَلْ وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَصِيرَ حُرّاً فَاسْتَعْمِلْهَا بِالْحَرِيِّ " (١كو٧: ٢١).. أما **الصراخ والتظاهر والهتاف, لأخذ الحقوق,** فلا كان من شيمة السيد له المجد .. ولا يوافق أن يحدث من أتباعه .. فهو لم يكن **يخاصم** " **وَلاَ يَصِيحُ وَلاَ يَسْمَعُ أَحَدٌ فِي الشَّوَارِعِ صَوْتَهُ** " (مت١٢: ١٩) .. والمسيحي مدعو للاقتداء به واتباع آثار خطواته (١بط٢: ٢١).

ناهينا عن رفع الصليب في المظاهرات .. الأمر الذي يحول الصليب من رمز جليل مصون, إلى شعار سياسي معرَّض لكل تقلبات السياسة .. ارتفاعاً أو انخفاضاً .. إن مركز الصليب الحقيقي, هو أن يكون مكنوناً في القلب والضمير (غل ٣: ٢ , ٦: ١٤ , ١كو٢: ٢).. لا مرفوعاً في الإضرابات والمظاهرات.

ملحق ١١: بخصوص هذه المعارك .. رجاء الرجوع للعدد الخامس بعنوان " **أرى الدم** " .. والعدد العاشر بعنوان " **ميمي بك** " .

ملحق ١٢: يكتب الرسول: " إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ تَبَرَّرَ بِالأَعْمَالِ فَلَهُ فَخْرٌ – **وَلَكِنْ لَيْسَ لَدَى اللهِ** " (رو٤: ٢) .. فالتبرير بالأعمال ليس لدي الله .. " لأَنَّهُ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ «**فَآمَنَ** إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ **فَحُسِبَ** لَهُ بِرّاً»" (رو٤: ٣) .. وذلك عندما صدق الله في أن نسله سيكون كنجوم السماء (تك ١٥: ٥ , ٦).. **فالبر الحسابي** أمام الله , يتم نتيجة تصديق الله .. أي نتيجة **الإيمان** .. إذ ؛ " **مُتَبَرِّرِينَ مَجَّاناً** (دون مقابل نقدمه من أعمال أو غيرها) بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً **بِالإِيمَانِ** بِدَمِهِ " (رو٣: ٢٤ , ٢٥) .. و" إِذْ قَدْ **تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ** لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (رو٥: ١) .. سلام في حضرته الآن .. وإلى الأبد.. (أيضاً دون مقابل).

وبعد حوالي ٢٢ عاماً – من تبرير إبراهيم بالإيمان – امتحنه الله, وطلب منه تقديم إسحق محرقة (تك ٢٢).. فلما نجح في الامتحان **تبرر** – نتيجة لذلك – مرة أخرى, ولكن **برًا عمليا** .. أي بالأعمال .. كما يكتب يعقوب متسائلاً : أَلَمْ يَتَبَرَّرْ إِبْرَاهِيمُ أَبُونَا **بِالأَعْمَالِ**، إِذْ قَدَّمَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ؟ " (يع ٢: ٢١).

هذا **التبرير العملي** بالأعمال , أمام من ياترى ؟ .. لن يكون إلا أمام الناس .. لأنه لو كان إبراهيم قد تبرر أمام الله بالأعمال , فما الذي يمكن قوله عن الـ ٢٢ سنة المذكورة .. هل كان إبراهيم فيها متبرراً أمام الله , أم لا ؟

إن قلنا كان متبرراً لدي الله , فكيف يكون التبرير بالأعمال وهي لم تكن قد جاءت بعد .

وإن قلنا غير متبرر , فكيف يكتب الروح القــدس – قـــبل هـــذه الـــ ٢٢ سنة – " فَآمَنَ (إبــراهيم) بِــالرَّبِّ فَحَــسِبَهُ لَــهُ بِــرّاً " (تك١٥: ٦) .

متبرر .. أم غير متبرر .. في هذه الـــ ٢٢ عاماً ؟

الحقيقة أنه كان متبرراً أولاً أمام الله بالإيمان براً حسابياً .. ثم بعد ٢٢ سنة تبرر بالأعمال , براً عملياً , ولكن أمام الناس .

ملحق ١٣: بين الشوكة والصليب فرق .. رجاء الرجوع للعدد الثاني, بعنــوان " **لماذا أنا بالذات** ".

ملحق ١٤: إبراهيم وموسي – في هذا الصدد – رمزان جليّـــان لعجز النشاط الجسدي, أو المجهود الناموسى (بالأعمال) , عــن نــوال الإنــسان الميراث الأبدي (غل ٣: ١٨) .. إذ أن الميراث بالتبنّي (رو٨: ١٧, غل٤: ٧) .. والتبني مرتبط بــسكني الــروح القــدس (رو٨: ١٦, غل٤:٦).. وسكني الــروح القــدس بالإيمـــان (أف ١: ١٣) .. إذاً **فالميراث بالإيمان..** لا بأي نشاط جــسدي , أو مجهــود ناموســي (غل٣:١٨).. وهذا ما سيأتي ذكره, بمشيئة الرب , في عدد قـــادم , بعنوان : " **أمير الصـــعيد**".

ملحق ١٥: بخصوص التبرير , رجـــاء الرجـــوع للعـــدد التاســـع, بعنـــوان: " **الســـجين الحـــالم** ".

ملحق ١٦: لأن الطبعة الأولى من هذا العدد صدرت عام ٨٧, لذلك كان انفجار تشرنوبيل وقتها هو أكبر كارثة .. أما الآن فتعتبر هذه الحادثة شـــيئاً يسيراً .. إذ " جرت في النهر مياه كثيرة ".. وحدثت كوارث طبيعية أعظم مثل " تسونامي ".. وغير ذلك.

ملحق ١٧: بمناسبة كلمة " **يملك** ".. لا أفهم حتى الآن معني كلمات الترنيمـــة

التي تقول: " ولا **يملك** قلبي أمامك غير السجود" ؟ .. فهل السجود **يملك** ؟ .. وكيف ؟ .. وهل يدرك كاتب هذه الترنيمة - والذي لا أعرف من هو - أو من يرنمها , معني السجود ؟

إنها عبارة واحدة من عشرات العبارات التي تنقضُّ علينا في ترانيم كل " **موسم** " ! .. فتقضّ الراحة .. وتنقض أبسط تعاليم الكتاب .. وأنا هنا لا أعمم .. فهناك استثناءات جيدة في الترانيم الجديدة .. لكنها قليلة.

والسؤال المحيِّر: هل مطلوب أن يكون لكل موسم, صيفي كان أو شتوي, ترانيم جديدة لهذا الموسم ؟ .. مثل الموضة مثلا .. فيدور الدولاب.. وتضخ " الفابريكة " ما تضخه من ترنيمات " مفبركة " ؟

أم أن الترنيمة تتولد نتيجة اختبار اجتازه كاتبها , دفعه لكتابتها تسبيحاً .. أو تأمل حلق به عالياً.. أو سجود وامتنان للرب أفاض قلبه " بِكَلاَمٍ صَالِحٍ " (مز٤٥: ١) .. أو صياغة شعرية لحقٍّ كتابيٍّ, أراد بها تثبيت هذا الحق , لدى عامة المؤمنين , ليكون مادة للسجود القلبي .. أو ابتهالٍ في قالب ترنيمة .. أو غير ذلك من الأسباب الروحية - لا الموسمية - على أن يتم ذلك بشروط :

أولها: أن يكون كاتب الترنيمة موهوباً موهبة فطرية في كتابة الشعر.

ثانيها: أن يكون دارساً - أو على الأقل ملماً - بأصول قواعد الشعر؛ من عروض .. وبحور .. وأوزان .. وتفعيلات ؛ كتفعيلة الرجز , والمتقارب , والوافر ، والمتدارك .. إلخ .

ثالثها: أن يصيغ اختباره , أو تأمله , أو سجوده , أو ابتهاله , في قالب عام يسمح بأن ينسحب على جميع المؤمنين .. وذلك شأن

اختبارات رجال الله وتأملاتهم , وتسبيحاتهم , وابتهالاتهم , المدونة في كلمة الله , كالمزامير على سبيل المثال (والأسفار الشعرية).. والتي تناسب جميع من يجتازون في اختبارات , أو تأملات , أو تسبيحات , أو ابتهالات , مماثلة.

أما أن يصاب أحدهم برشح أو بمغص , ثم يعافي .. " فيقوم كاتب " ترنيمة لا تصلح أن تكون اختباراً عاماً .. أو يكتب لزوم الموسم .. بخلاف أنه ليس له في الشعر ولا في اللغة .. ثم يقوم بتلحينها , هو , أو غيره, من الذين ليس لهم دراية بعلوم الموسيقي والتلحين – من إيقاعات؛ كإيقاع المربع , والمصمودي .. إلخ .. ومقامات ؛ كمقام هزام , وصبا , ونهاوند , وبياتي ، وسيكا .. وغير ذلك من مقامات غربية .. إلخ .. وموازير لضبط الأزمنة .. كل هذا دون أن يحترم حروف العِلَّه .. أو أن يراعي القفلات – ثم تُفرض هذه الترنيمة على المؤتمرات الصيفية والكنائس, لا لشيء إلا لأنها ترانيم الموسم الجديدة .. فهذا أبعد ما يكون عن الترانيم المؤثرة والتي تلمس قلب المؤمنين من أول مرة تسمع فيها , أو تُرنم .. وتدخل التاريخ كأحد الاختبارات الرائعة .. كهذه الاختبارات على سبيل المثال :

١- الراقصة الأجنبية (Strip tiz) .. التي بعدما أدركت عجزها عن تغيير حالتها ومحو ماضيها , أتت إلى الرب كما هي .. ولما وجدت فيه كفايتها , سبحت ما ترجم إلى العربية :

كما أنا وليس لي عذر لديك
إلا الدم المسفوك عني من يديك
وأمرك القائل أن آتي إليك
آتي أنا يا حمل الله الوديع

كما أنا ولست أبقي كي أزيل
عيبا من العيوب والحمل ثقيل

إليـــك يــــا مـــن دمـــه يـــشفي العليـــل
آتـــي أنـــا يـــا حمـــل الله الوديـــع

٢- اختبار الخطيبة التي سافرت من أوروبا إلى أدغال أفريقيـا - قبل عقود كثيرة مضت - لتزف إلى خطيبها المرسل للتبشير هنـاك .. وبعد أن نزلت من السفينة التي أبحرت - إذ لم تكن طائرات بعد - لم تجد خطيبها في انتظارها بالميناء .. سألت عنه فاكتشفت أنـه مات بالحمى قبل وصولها بأيام قليلة ؟ .. لم تدر مـاذا تفعـل ؟ .. المجهول المظلم أمامها .. والبحر خلفها .. ولا وسيلة آنذاك للاتصال بأهلها .. ركعت وصلّت وصاغت صلاتها في هذه الكلمات التاريخية الرائعة :

خـذ بيدي وقدني , كما تـشـاء
حتى أرى في **ليلي , نور السماء**

إذا ما سرت معك , **وسط الظلام**
أنـل بفضل ربي , **حسن الختام**

٣- اختبار الملكة التي , عند تتويجها , رفضت أن يُنشد لها في هذا الحفل نشيدا يمجدها .. بل طلبت أن يكون النـشيد ترنيمـة لتتـويج المسيح .. فكانت هذه الترنيمة الخالدة:

بقوة لاسم يسوع نشدو وننشـد
إن الملائـك له تجثو وتسـجد

أعطوا له المجد الذي جلّ عن المثل
وملكوه سيدا في القلب, للكل

والتي ترجمت إلى لغات عديدة.. ومازالت ترنم **بنفس لحنها الأصلي**

.. لا لشيء إلا لأنها عبرت بصدق عن رغبة الملكة في الاختفاء .. ليتواري معها كل إنسان .. مهما سما مركزه أو علا قدره .. ولو كان موسي أو إيليا .. ليبقي يسوع وحده .. موضوع مسرة الآب (مت١٧: ٥) .

لكن ماذا نقول عن ترنيمة تتكلم عن آلام الرب يسوع فوق الصليب , لكنها ترنم بإيقاع راقص (على واحدة ونص).. فينفعل الشعب طرباً , ويتمايل راقصاً , مع هذا الإيقاع .. في انفصال عن معني الترنيمة.. وفي حالة مخالفة تماماً لحالة الواقفات عند صليب يسوع (يو١٩:٢٥).. ناسياً أن الفصح كان يؤكل " عَلَى أَعْشَابٍ مُرَّةٍ " (خر١٢:٨).

وماذا عن الترانيم التي يفتخر فيها كاتبها – مع مرنمها – بنفسه .. ويزهو بملكاته .. وبأنه كذا .. وكذا .. معدداً إمكانياته الخارقة .. وسلطانه الأسطوري .. ناسياً أن ذبيحة التسبيح ؛ هي " ثَمَرَ شِفَاهٍ مُعْتَرِفَةٍ بِاسْمِهِ (عب١٣:١٥) .. أي باسم **المسيح** .. لا باسمي **أنا** .. أي تقديم اعترافنا بالمسيح لله.. كما يكتب الفاضل " **صموئيل ريدوت** " : ﴿ **إن التسبيح الحقيقي هو رفع رائحة المسيح الزكية لله**﴾ .. لا رفع عقيرتي **أنا** ؛ بأني **أنا** " ابن جلا وغلاب المنايا " .. مردداً مع " **أمير الشعراء** " , على لسان مليك أحد فصائل الطيور:

أنا رب الشوكة **الضافي الجناح**   **أنا** ذو المنقار غلَّاب الرياح

فما هاجت عليه الرياح , كشفت حقيقته وطرحته أرضاً .

فهوى للأرض كالتل الكبير   وتهاوى العرش وانقض السرير

فاستغاث بخادمه " ندور " صارخاً :

ياندور الخير أسعف بالصياح   ما تري ما فعلت فينا الرياح

وكأنما أراد الشاعر أن يؤكد قول الحكيم : " قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ وَقَبْلَ السُّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ. " (أم١٦:١٨) .

لا غبار أن يحوى الكنز على الجدد .. مع عدم إهمال العتقاء (مت١٣: ٥٢) .. شريطة أن يكون هذا الجديد ذهباً من البوتقة ؛ بوتقة مجد المسيح .. لا قشا من البيدر ؛ بيدر مجد الإنسان وتفاخره (١بط ١: ٢٤) .

شيء من الاتضاع أيها الأحباء .. فلا يرتئي أحد في نفسه فوق ما ينبغي له أن يرتئي .. بل لنرتئي معا إلى التعقل (رو١٢: ٣٠).

ملحق ١٨: مازلت أقول بإمكانية حدوث الخوارق .. استجابة لصلاة الإيمان – من موقع المسكنة .. ولسبب الاحتياج – إذا كانت تلك هي مشيئة الرب .. دون أن تكون هذه الخوارق هي الحل الوحيد الذي نسعى لحدوثه في تجاربنا .. والأهم , إن حدثت المعجزة معنا , أو مع غيرنا – استجابة لمسكنتنا – أن لا ندّعي امتلاكنا قدره فائقة أو موهبة خارقة .

ملحق ١٩: غيرّ الله اسم يعقوب , ومعناه ؛ المتعقب ؛ إلى إسرائيل ومعناه ؛ " أمير الله " .. متى؟ .. بعد نجاحه في جهاده مع الله (أي في الصلاة) (تك ٣٢: ٢٦ – ٢٨, هو١٢: ٣ , ٤) .. وهكذا تحولنا صلاتنا إلى " أمراء لله " على عروش قلوبنا وأفكارنا.



بالإيمان عاش .. وفي الإيمان مات

(عب ١١)

د. شــاكر إسكندر



من مواليد عام ١٩٥١ (١٥ فبراير).

- تعرف بلارب في المرحلة الثانويــة.
- ابتدأ يخدم الرب منذ ذلك الحـيــــن.
- كانت حياته ومعاملته لزملائــه فــي كلية الطب سبباً مباشراً في اقتياد بعضهم إلى الرب .. أحدهم الآن طبيب ناجح في أمريكا.
- كانت له خدمته بين شباب إعدادي وثانوي وجامعة .. وقاد كثيـرين مـنهم إلى معرفة الرب.
- وضع في قلبه منذ تخرجه أن يكرس حياته لخدمة الرب.
- لذلك عندما عمل في أرياف المنيا .. كان في أوقات الراحـة والأجـازات يركب الحمار ، أو الدراجة (المواصلات المتاحة وقتئذ) .. متنقلاً من قرية إلى أخرى .. للافتقاد الروحي للعائلات .. وحضور الاجتماعات في هذه القرى .. وتقديم الخدمة الطبية للمحتاجين إليها مجاناً.
- كان طبيباً بارعاً .. وكان تشخيصه المبدئي للمرض يطابق التحليلات تماماً .. ومع هذا أغلق عيادته الناجحة في ضواحي الجيزة , حتـى لا تعيقـه عـن حضور الاجتماعات , وتقديم الخدمة الروحية , والطبية لجميع الذين يطلبونهـا منه.
- جال كسيده – وإن كان إلى قياس محدود , بلاطبع – يصنع خيـراً ويقـدم المشورة الطبية ويصف العلاج .. ومجاناً في أغلب الأحيان .. بل ربما دفع من جيبه ثمن هذا العلاج .. هذا فضلاً عن قيامه بنقـل الحـالات الحرجـة إلـى

المستشفي بسيارته , التي شاركته في هذه الخدمة.

- خدمته للكلمة كانت مقبولة ومطلوبة في كافـــة الطوائـــف المـــسيحية دون استثناء .. الأمر الذي يندر أن يتمتع به خادم رسمي في كنيسة بذاتها.
- كان يشرف – متطوعاً – على علاج الأيتام وأصحاب الاحتياجات الخاصة في أكثر من ملجأ , أو بيت من البيوت المخصصة لذلك .
- كثيرون كانوا يأتون خصيصاً لحضور كنيسته , أو الاجتماعات التي يدعي للخدمة فيها , ليس فقط للعبادة أو سماع الخدمة الروحية , بـــل أيـــضاً لطلـــب المشورة الطبية والكشف عليهم – مجاناً – بعد الاجتماع .
- اشتهر بحلمه الذي كان معروفاً لجميع الناس (في٤: ٥) , كذلك أيضاً كـــان معروفاً عطاؤه بسخاء لعمل الرب , وللخدام في جميع الطوائـــف المـــسيحية .. ولغير المسيحيين أيضاً .. رغم محدودية دخله.
- على المستوى العائلي , كان زوجاً محباً , وأباً حانياً , وشـــقيقاً مـــضحياً , وعماً وخالاً بمثابة أب لأولاد إخوته.
- ترك لأولاده أهم شيء ؛ وهو التقوى .. التي ذكرتها الأرملة لرجـــل الله : " عَبْدَكَ زَوْجِي قَدْ مَاتَ، وَأَنْتَ تَعْلَـــمُ أَنَّ عَبْـــدَكَ كَـــانَ يَخَـــافُ الـــرَّبَّ " (٢مل ٤: ١).
- من جميع الطوائف المسيحية , دون استثناء , قام بالخدمة قمامصة وقساوسة وخدام , في حفل توديعه بكنيسته.
- اكتظ هذا الحفل بعشرات الإخوة المسلمين الذين جمعتهم به علاقـــة محبـــة وأُخُوَّة .. حتى أن بعضهم أتي من الإسكندرية إلى الجيزة خصيصا لوداعـــه .. وأصرّ كثير منهم على الذهاب إلى المقابر .
- كان منظرا فريدا , في هذا الحفل , أن ترى ركنا كبيراً قائماً بذاته ، داخـــل الكنيسة تشغله الأخوات المحجبات , اللاتي حضرن لوداعه.
- كان انتقاله في عام ٢٠٠٧ (١٠ يونيو) .. فانطفأت بذلك شعله أضاءت هنا ساعة من الزمان .. ليضئ هناك , إلى أبد الدهور , مـــع الأبـــرار والفـــاهمين (دانيال١٢:٣) .. في الملكوت السماوي (٢تي٤: ١٨).

" آمِينَ. تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ " (رؤ٢٢: ٢٠)

المراجــع

- تراجم متعددة للكتاب المقدس.

- قواميس متعددة للكتاب المقدس.

- مراجع روحية :-

تفاسير كنيسة الأخوة , وكنائس أخرى , للشواهد الكتابية الواردة في هذا العدد .

انطلاق الروح قداسة البابا شنودة الثالث

- مراجع أخرى :-

الطواسين أبو الغيث الحسن بن منصور الحلاج البيضاوي

مأساة الحلاج صلا عبد الصبور

صلاح جاهين تقديم يحي حقي

من دواووين :- أحمد شوقي

نزار قباني

فى هذا العدد:

- ماذا يحدث عندما أكون غير قادر على الصلاة ؟
- قبول الصلاة شكلاً وموضوعاً.
- هل الصلاة تغير مشيئة الله؟
- وقت الاستجابة.
- سلام الله.
- أميرة ودجاجاتها.
- شفاعة الروح.

تحت الطبع:

- الورقة الأخيرة.
- سر الله.
- وأعداد أخرى.

سلسلة ملء الجباب
تطلب من
كنيسة الإخوة
شارع الدرى - ميدان الجيزة
ومن المكتبات المسيحية